الكتاب: إمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي
المؤلف: محمد علي البار
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: طب
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان
ردمك:
ملاحظات: الرسالة الذهبية أول رسالةٍ في الطب النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

د. محمد علي البار
الإمام علي الرضا
ورسالته في الطب النبوي
الرسالة الذهبية
أول رسالة في الطب النبوي
دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى وآله النجباء، ومن بهم اهتدى واقتدى.

أما بعد.

فهذا كتاب عن الامام الجليل أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين السجاد بن الإمام السبط الحسين شهيد كربلاء ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء بنت خير البرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بدأت الكتاب بفصل عن فضائل أهل البيت النبوي الذين طهرهم الله تطهيرا، والذين قال فيهم عز من قائل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) وأوردت فيها ما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية والإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، والإمام ابن كثير والامام القرطبي.

ثم ذكرت بعض الأحاديث التي وردت في فضل آل البيت، وابتدأتها بفضائل الإمام علي
ثم الزهراء ثم سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ثم العترة وآل البيت عامة... وأكثرت من النقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وخاصة رسالته (فضل أهل البيت وحقوقهم) التي أخرجها وعلق عليها الشيخ أبو تراب الظاهري، وهي رسالة قيمة، صغيرة الحجم جليلة القدر، وألحق بها الشيخ أبو تراب بعض ما ورد

----

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

من أحاديث في فضل آل البيت النبوي الكريم. ثم ذكرت موقف أهل السنة والجماعة من محبة آل البيت، وخاصة موقف الأئمة الأربعة: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد، رحمهم الله، وأجزل مثوبتهم عن الاسلام والمسلمين وعن آل بيت النبي الذين أحبوهم أشد الحب، وتحملوا في سبيل محبتهم الضرب بالسياط والتعذيب والسجن. وكاد الشافعي رحمه الله أن يقتل بسبب مناصرته للعلويين، وسيق مكبلا بالحديد إلى بغداد... ولولا وساطة محمد بن الحسن لدى الرشيد لبطش به... وموقف الامام النسائي، الذي فقد حياته بالفعل بسبب حبه للإمام علي وفاطمة الزهراء والعترة الطاهرة الزكية، يستحق كل إكبار وإجلال.

ثم ذكرت موقف أهل السنة من أحاديث المهدي التي بلغت حد التواتر المعنوي. ونقلت ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية والشوكاني وابن حجر الهيثمي المكي وابن خلدون وغيرهم من أكابر العلماء، وختمت أقوالهم بما ذكره سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في موضوع أحاديث المهدي وأنها بلغت حد التواتر وأن خروجه حق وأنه من ذرية فاطمة رضي الله عنها. واعتبر إنكار أحاديث المهدي إنكارا للحديث النبوي الشريف. ثم ختمت الفصل بما يجب على من ينتسبون إلى هذا البيت الكريم من الاقتداء بجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسلفهم الصالح، وأن هذا النسب الشريف يحتاج إلى مزيد عمل، وإلا فالخطر عليهم عظيم، وكما قال الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين: (إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسئ منا وزرين) وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول لنساء النبي رضي الله عنهن:

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما) (١) ثم ذكرت ما يجب على المسلمين من مودة أهل البيت، والنصح لهم وإعطائهم نصيبهم من الخمس والفئ. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي)

---

(١) سورة الأحزاب ٢٩، ٣٠.

وحرم عليهم الصدقة التي هي أوساخ الناس. وجعل حبهم دليل الايمان وبغضهم دليل الكفر والنفاق.
قال ابن تيمية: (ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره، أو فرح أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي)، لما شكا إليه العباس أن بعض قريش يجفون بني هاشم. وقال: (إن الله اصطفى قريشا من بني كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم). وروي عنه أنه قال: (وأحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي) ا. ه. كلام ابن تيمية.
ثم انتقلت إلى الباب الثاني وهو ترجمة الإمام علي الرضا ومولده بالمدينة المنورة سنة ١٥٣ وأمه أم ولد (حبشية أو نوبية). وذكرت علمه وفضله وما مدحه به الشعراء وما ذكره المأمون العباسي عنه من أنه أفضل أهل البيت في زمنه، ولذا ولاه ولاية العهد، وزوجه ابنته. وذكرت شيئا من كراماته ومؤلفاته ومنها الرسالة الذهبية فذكرت سبب تأليفها وتقريض المأمون والأطباء لها ومخطوطات هذه الرسالة القيمة ومطبوعاتها وشروحها وقيمة الرسالة العلمية وميزاتها.
ثم وضعت فصلا بعنوان المدخل إلى فهم كتب الطب النبوي وكتب الطب القديم عامة وأنه لا بد من فهم نظريات الطب اليوناني حول العناصر الأربعة والأركان والأمزجة الأربعة، وقد اعتمدت في ذلك على رسالة موجزة لأبي بكر الرازي، شيخ أطباء المسلمين وهي بعنوان (المدخل الصغير إلى علم الطب)، وقد حققها ونشرها الدكتور عبد اللطيف محمد العبد. وكل من كتب في الطب أو الطب النبوي اعتمد على هذه النظريات التي أبان الزمن زيفها وخطلها. ولذا فإن كتب الطب النبوي تحتوي على جانبين مهمين:
أولهما: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في الطب. وهذا حق وصدق متى صح عنه صلى الله عليه وسلم. وقد أثبت الطب الحديث أن كلامه في ذلك معجزة من معجزاته
صلى الله عليه وآله وسلم.

والثاني: معلومات زمن الكاتب الطبية وما فيها من صواب وخطأ. وهذه معرضة للخطأ، لأنها تعتمد معلومات العصر وثقافة البيئة والزمان. ونحن لا نحاكم هؤلاء الكتاب إلى معلومات عصرنا وزماننا في الطب. والحق أن نحاكمهم إلى معلومات عصرهم وزمانهم. وقد وجدنا كثيرا منهم سابقا لعصره وزمانه وخاصة عندما يلتزم بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من معلومات معاكسة ومضادة
لمعلومات عصره في كثير من الأحيان.

ثم أوردت نص الرسالة الذهبية وهي رسالة صغيرة كتبها الإمام الرضا للمأمون، بناء على طلبه، وهي في حفظ الصحة. وقد قمت بشرح الرسالة والتعليق عليها بإيجاز، لأن الإمام الرضا لا يورد الأحاديث النبوية وإنما يشير إليها ضمنا في كلامه الفذ العجيب المختصر. كما يذكر معلومات الأطباء في زمنه باختصار واقتدار. ويضمنها تجاربه الشخصية وموروثاته عن آبائه الكرام.

لذا تتميز الرسالة بما يلي:

١ - أنها أول رسالة في الطب النبوي حيث كتبت سنة ٢٠٠ ه أو ما حولها.

٢ - أنها أول رسالة في الطب الوقائي وحفظ الصحة باللغة العربية.

٣ - أنها أول كتاب في الطب يكتبه عربي مسلم... ولم يسبقه إلا إسحاق بن حنين وبختيشوع وأضرابه من السريان والنصارى الذين ترجموا كتب أبوقراط وجالينوس.

٤ - أنها مزجت معلومات الطب الموجودة في عصره مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي يشير إليها دون أن يذكر نصها، مزجا عجيبا فذا.

٥ - أنها تحتوي على معلومات واسعة في الطب الوقائي وحفظ الصحة تتعدى معلومات العصر والزمان الذي عاش فيه.. وتظل قيمتها باقية على مرور الزمان وكر الأيام.

٦ - تحتوي الرسالة على معلومات الطب اليوناني القديم وبعضها أثبت الزمن خطأه. وهو قليل على أي حال، وقد نبهت إليه. وبعضه لم يتحدث فيه الطب الحديث ولم يبحثه فأشرت إليه.

وبعد، فهذا جهد المقل. وأرجو أن ينفع الله به كاتبه وناشره وقارئه. فإن أصبت فالحمد لله، وإن أخطأت فأستغفر الله العظيم وأتوب إليه. عليه أتوكل وإليه أنيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتب في جدة ١٤ صفر ١٤١١ ه

الموافق ٣ سبتمبر ١٩٩٠ م.

الباب الأول
فضائل أهل البيت النبوي

ذكر بعض فضائل أهل البيت النبوي الكريم
إن فضائل أهل البيت النبوي مذكورة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم... والله
سبحانه وتعالى يصطفي ويختار من خلقه من شاء فله الحكمة البالغة والمنة السابغة. قال تعالى، (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) (١) وقال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) (٢) وقال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من
كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) (٤) وفي رواية: (أنا خيار من خيار). وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) (٥). وهو صاحب الحوض المورود واللواء المحمود والشفاعة الكبرى.
وقد كتب في فضل أهل البيت كثيرون. وأحاديث فضلهم موجودة في البخاري ومسلم والسنن والمسانيد والمعاجم والمصنفات.. وقد نشر الشيخ

---

(١) سورة الحج آية ٧٥.
(٢) سورة القصص آية ٦٨.
(٣) سورة الأنعام آية ١٢٨.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٥) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري، وهو بلفظ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) عند مسلم وأبي داود عن أبي هريرة. وهو عند البخاري (أنا سيد الناس يوم القيامة) رواه عن أبي هريرة. وهو عند البيهقي بلفظ (أنا سيد العالمين).

أبو تراب الظاهري رسالة قيمة للإمام ابن تيمية استخرجها من فتاواه ومن رسائله وعلق عليها وخرج أحاديثها وجعل لها ضميمة من الأحاديث التي وردت في كتب السنة في أهل البيت وسمى تلك الرسالة: (فضل أهل البيت وحقوقهم) (١).

وقد نقلت الكثير من أقوال الإمام ابن تيمية في هذه الرسالة الموجزة القيمة المفيدة لعدة أسباب، أولها: أن ابن تيمية بحر زخار يأتي بالأقوال والأحاديث من حفظه، بحجة دامغة وعبارة قوية. وثانيها: أن فريقا من الناس في هذا الزمان لا يقبلون قولا ولا حجة إلا إذا أتيت لهم بما ذكره ابن تيمية، فأحببنا أن نؤلف قلوبهم بما ذكره هذا الإمام الحجة الثبت...

وقد وردت في آل البيت النبوي الكريم آيات من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وصحت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة في
فضلهم وأن حبهم دليل الايمان وأن بغضهم دليل النفاق... ونقلت في ذلك نقولا كثيرة أكثرها عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

تفسير قوله تعالى:

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب ٢٢

كلام ابن تيمية في شرحها:

قال الإمام ابن تيمية في شرح هذه الآية الكريمة: (٢) (ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا، دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأقرب أهل بيته
وأعظمهم اختصاصا به وهم: علي وفاطمة (رضي الله عنهما) وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكان في ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من

---

(١) الناشر: دار القبلة جدة ١٤٠٥ ه / ١٩٨٤ م.

(٢) (رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم، تعليق أبي تراب الظاهري، دار القبلة جدة ١٤٠٥ ه. وهي في الفتاوى الكبرى ج ٣: ١٥٤.

الله ليسبغها عليهم، ورحمة من الله وفضلا.
قال ابن تيمية: (وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح أن الله لما أنزل
عليه (إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) سأل الصحابة: كيف يصلون عليه فقال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد). وفي حديث صحيح: (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته).
وقال شيخ الاسلام الإمام ابن تيمية: (وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنها: أن هذه الآية لما نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، أدار النبي صلى الله عليه وسلم كساءه
على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). وسنته صلى الله عليه وسلم تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل
عليه وتعبر عنه. فلما قال: (هؤلاء أهل بيتي مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه، وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر. والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال، لا للاختصاص بأصل الحكم، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان،
والتمرة والتمرتان، وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يتفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس إلحافا). بين بذلك: (أن هذا مختص بكمال المسكنة، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة) ثم أورد العبارة المذكورة أعلاه.
ابن جرير الطبري:
وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١) يقول الله تعالى: (إنما

---

(١) ابن جرير (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة (سورة الأحزاب) ج ٢٢: ٥.

يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد
ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله. وذكر بسنده عن
قتادة في تفسير هذه الآية قال: فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم
برحمة منه.
ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم: نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي وحسن وحسين
وفاطمة).
ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
غداة وعليه مرط مرحل (١) من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم قال: (إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).
ثم ذكر حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة
ستة
أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول: (الصلاة أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).
ثم ذكر حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي،
وعلي
وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة (٢)، فأكلوا وناموا وغطى عليهم
كساء أو قطيفة ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا).
وذكر بسنده عن أبي الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما
فقال:
الصلاة.... الصلاة.. (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا).
ثم ذكر حديث واثلة بن الأسقع قال: إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه
علي

---

(١) المرط المرحل: كساء من صوف أو من خز عليه تصاوير الرحال.
(٢) الخزيرة: اللحم يقطع ويطبخ ويذر عليه الدقيق.

وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).
وعن واثلة بن الأسقع قال: سألت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في منزله، فقالت فاطمة رضي الله عنها: قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء،
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن
يمينه وعليا عن يساره وحسنا وحسينا رضوان الله عليهم بين يديه، فلفع عليهم بثوبه وقال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا). اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق).
وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (لما نزلت هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم (أي غطاهم) بكساء خيبري (نسبة إلى خيبر) وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا،
قالت أم سلمة: ألست منهم؟ قال: أنت إلى خير).
وعن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنهما قالت: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها
بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك؟ قالت: في البيت، فقال: ادعيهم.
فجاءت عليا فقالت: أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك. قالت أم سلمة: فلما رآهم
مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه، فأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).
وأورد بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في بيتها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت: (وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت قال: إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي، قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين).

وأورد بسنده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة رضي
الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين رضي الله
عنهم ثم
أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله تعالى وقال: (هؤلاء أهل بيتي). فقالت أم
سلمة: يا رسول الله أدخلني معهم: قال: إنك من أهلي).
وعن عمر بن أبي سلمة (ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: نزلت هذه الآية
على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة. فدعا حسنا وحسينا وفاطمة
فأجلسهم بين يديه
ودعا عليا فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) قالت أم سلمة: أنا معهم قال: أنت على
مكانك وأنت على خير).
وبسنده عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي، فأخذ
عليا وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: (رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي)
وعن حكيم بن سعد قال: (ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة رضي الله
عنها فقالت: في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة: جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي فقال: لا
تأذني
لأحد. فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء
الحسن رضي الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ثم جاء
الحسين فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط
فجللهم
النبي صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس
وطهرهم تطهيرا. فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط.
فقلت: يا رسول الله وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم (أي ما قال نعم) وقال:
إنك إلى خير.
كلام القرطبي:
وأورد القرطبي في تفسيره (١) الأقوال المختلفة في تعيين أهل البيت وأن

---

(١) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، سورة الأحزاب ج ١٤ / ١٨٢.

زوجاته صلى الله عليه وسلم داخلون فيهم. وذكر قول الكلبي وغيره أنها خاصة بعلي وفاطمة
والحسن والحسين وأورد في ذلك أحاديث كثيرة. وذكر قول من قال أنها في نسائه
صلى الله عليه وسلم خاصة. ثم عقب على ذلك بقوله: (والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع
أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال: (ويطهركم تطهيرا) لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليا وحسنا وحسينا كانوا فيهم. وإذا اجتمع المذكر والمؤنث: غلب المذكر،
فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل
عليه سياق الكلام، والله سبحانه وتعالى أعلم).

كلام ابن كثير:

وذكر الحافظ ابن كثير (١) في تفسيره لهذه الآية الحديث الذي رواه الترمذي
والبزار عن ابن حوشب قال: (دخلت مع أبي على عائشة رضي الله عنها فسألتها
عن علي رضي الله عنه فقالت: (تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه. لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا عليا
وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوبا، وقال: (اللهم هؤلاء
أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). قالت فدنوت منهم فقلت: يا
رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال صلى الله عليه وسلم (تنحي فإنك على خير) وأخرج نحوه عن
واثلة بن الأسقع (أخرجه البيهقي) وقال عنه ابن كثير صحيح الاسناد.

حديث الثقلين:

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه،
قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة (٢)، فحمد الله

----

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) حديث غدير خم من الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح الإمام مسلم وفي السنن والمسانيد. والغريب حقا أن جماعة من مدعي العلم ومبغضي آل البيت ينكرونه. فإذا أنكروه فعليهم أن ينكروا أحاديث البخاري ومسلم وكتب السنة كلها. ولا علينا أن اتخذه الشيعة الاثني عشرية عيدا فليس ذلك بقادح في الحديث.. والاحتفال به مثل الاحتفال بغيره من المناسبات. فإذا كان الناس يحتفلون بتولية فلان الملك، فهذا من باب أولى.

وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم قال: هم
آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وفي رواية عن زيد أنه قال: ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل، وهو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة. وفيه قلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. وأهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده).

وحديث الثقلين هذا قد ورد في سنن الترمذي. عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أثقل
من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود بين السماء إلى الأرض، وعترتي، أهل بيتي. ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

وقد أورد حديث الثقلين أيضا الحاكم النيسابوري في المستدرك والإمام أحمد في مسنده: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن: فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه).

وعن بريدة الأسلمي قال: غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة
فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عليا فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتغير فقال: يا بريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله

فقال (من كنت مولاه فعلي مولاه). وهو أيضا في قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (المائدة ٥٥). قيل نزلت في علي، تصدق بخاتمه وهو راكع.
والغريب حقا أن حديث الثقلين هذا، رغم وروده في صحيح مسلم وفي سنن الترمذي وحسنه الحاكم النيسابوري في المستدرك ومسند الإمام أحمد، إلا أن معظم المعاصرين من العلماء والخطباء يجهله أو يتجاهله... ويوردون بدلا عنه حديث (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي)، وهو في موطأ الامام مالك، وفي سنده ضعف وانقطاع، وإن كان متنه ومعناه صحيحا. وكان من الواجب إيراد الحديثين كلاهما معا لأهميتهما في الباب، أما كتمان هذا الحديث الشريف الصحيح فهو من كتمان العلم الذي هدد الله ورسوله فاعله، قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة ١٥٩ - ١٦٠)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)
فليحذر هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الفضل على آل بيته، ولا ينكرونه مثلما فعل أحبار يهود، كتموا علمهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم حسدا له وبغضا فباؤوا بالخسران المبين.

آية المباهلة

قال تعالى في سورة آل عمران (١): (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).
نزلت هذه الآيات الكريمة في وفد نجران يرأسهم العاقب والسيد جاءوا إلى

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٩ - ٦١.

المدينة في السنة التاسعة في منظر فريد، فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ترك عبادة عيسى
عليه السلام والقول بأنه ابن الله، ولكنهم أصروا على دعواهم مع علمهم بخطأ معتقدهم وزيف ما انتحلوه من بنوة عيسى لله ووضوح الحجة عليهم. فأنزل الله سبحانه وتعالى آية المباهلة لقطع اللجاج ولإيضاح الحق.

كلام ابن جرير:

قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١):

(فلما غدوا غدا النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا، آخذا بيد حسين وفاطمة تمشي
خلفه فدعاهم إلى الذي فارقوه عليه بالأمس فقالوا نعوذ بالله (أي من مباهلتك لأنهم قد علموا أنهم لو باهلوه لهلكوا جميعا). ثم دعاهم فقالوا نعوذ بالله مرارا.
قال فإن أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.

وأخرج بسنده عن زيد بن علي في قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين. أي الذين خرجوا
للمباهلة فنكص نصارى نجران.

وأخرج ابن جرير بسنده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة
وقال لعلي اتبعنا، فخرج معهم للمباهلة فنكص النصارى...).

وأصل كلمة المباهلة الملاعنة ويقال بهله الله أي لعنه الله، والبهل: اللعن وصارت الكلمة تطلق على التضرع في الدعاء وخاصة إذا كان باللعن.

تفسير القرطبي (٢).

قال: قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا): دليل على أن أبناء البنات

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة ج ٣: ٢٠٩ – ٢١٥.
(٢) أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (سورة آل عمران آية ٦١) مجلد ٤: ١٣٠ وما بعدها.

يسمون أبناء، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالحسن والحسين، وفاطمة تمشي خلفه،
وعلي خلفها، وهو يقول: (إن أنا دعوت فأمنوا). وهو معنى قوله: (ثم نبتهل)
أي نتضرع في الدعاء... عن ابن عباس رضي الله عنهما نلتعن. وأصل
الابتهال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره... يقال بهله الله أي لعنه، والبهل اللعن).
ثم قال: (قال كثير من العلماء أن قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين لما باهل:
(ندع أبناءنا وأبناءكم) وقوله في الحسن: (إن ابني هذا سيد) مخصوص بالحسن والحسين أن سميا ابني النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهما، لقوله صلى الله عليه وسلم: (كل سبب ونسب
ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي).
تفسير ابن كثير (١):
قال: عن جابر رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب (رؤساء وفد نجران) فدعاهما إلى الملاعنة، فواعداه أن يلاعناه الغداة (أي بعد أن حاججهما في عبادتهما عيسى عليه السلام وادعاءهما بنوته لله تعالى كما قد مر). قال فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما (أي
العاقب والطيب) فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(والذي بعثني بالحق لو قالا لا، لأمطر عليهم الوادي نارا..) وفيهم نزلت (قل تعالوا ندع أبناءنا وأنباءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) رواه ابن مردويه والحاكم في المستدرك ورواه الطيالسي عن الشعبي مرسلا. قال ابن كثير: وهذا أصح.
تفسير قوله تعالى: قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى
سورة الشورى ٢٣
تفسير ابن جرير:
قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢): (يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. قل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
(١) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم.
(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن سورة الشورى دار المعرفة، بيروت.

يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: قل لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم - ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه إلا المودة في القربى، فاختلف أهل التأويل ما يعني بقوله: (إلا المودة في القربى) فقال بعضهم: معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا رحمي بيني وبينكم. ثم ذكر بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم
قرابة فقال: قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى.
(وعن طاووس في قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال: سئل عنها ابن عباس رضي الله عنهما فقال سعيد بن جبير: هي قربى آل محمد. فقال: عجلت. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش
إلا وله قرابة. قال: فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)
قال: إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها.
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة
في جميع قريش فلما كذبوه وأبوا أن يتابعوه قال: يا قوم إن أبيتم أن تتابعوني فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكن غيركم من العرب أولى أن يحفظني وينصرني منكم).
وروى مثله عن عكرمة وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك.
قال ابن جرير: (وقال آخرون بل معنى ذلك: قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودوا قرابتي... ثم ذكر السدي عن أبي الديلم قال: لما جئ بعلي بن الحسين أسيرا، وأقيم على درج (طريق) دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة. فقال له علي: أقرأت القرآن؟ قال: نعم: قال: قرأت (آل حم)؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ (آل حم) قال: ما قرأت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال: فإنكم لإياها؟ قال: نعم).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا كأنهم فخروا. فقال العباس: لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في

مجالسهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلاء فأعزكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفلا تجيبوني؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون: أو لم يخرجك قومك فآويناك؟ أو لم يكذبوك فصدقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟ قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله قال: فنزلت: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى).

وعن سعيد ابن جبير (إلا المودة في القربى) قال: هي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مثلها عن عمرو بن شعيب. ثم ذكر أقوالا أخرى.

قال الطبري: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم).

تفسير ابن عطية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قيل: يا رسول الله، من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم؟ (فقال: علي وفاطمة وابناهما).

وقيل: هم ولد عبد المطلب. قال ابن عطية: وقريش كلها عندي قربى وإن كانت تتفاضل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من مات على حب آل محمد

مات شهيدا، ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة)

بعض الأحاديث التي وردت في آل البيت

وقد وردت في آل البيت أحاديث كثيرة. وأول آل البيت علي كرم الله وجهه، صهر النبي المصطفى وختنه وأخوه في الدنيا والآخرة. وسنكتفي ببعض الأحاديث التي وردت في الصحيحين والسنن.

من مناقب علي (رضي الله عنه وكرم وجهه)

مناقب الإمام علي في صحيح البخاري: عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه) قال: فبات الناس

يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم

يرجون أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: فأرسلوا إليه فأتوني به. فلما جاء بصق في عينيه، فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام.
وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم).
عن سلمة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية، أو ليأخذن الراية غدا رجل
يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه. فإذا نحن بعلي وما نرجوه. فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله عليهم.
عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).
عن سهل بن سعد قال: دخل علي على فاطمة ثم خرج فاضطجع في
المسجد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه،
فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح عن
ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب... مرتين.
مناقب الإمام علي في صحيح مسلم: الأحاديث المذكورة أعلاه وأحاديث
أخرى ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال: أمر معاوية بن أبي
سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثا قالهن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه: لئن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم،
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول
الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون
مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي) وسمعته يقول يوم خيبر:
(لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) قال: فتطاولنا لها.
فقال: ادعوا لي عليا فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه ففتح الله
عليه. ولما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول

الله صلى الله عليه وسلم: عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي).
ثم أورد الإمام مسلم حديث غدير خم الذي رواه زيد بن أرقم وهو
حديث الثقلين والولاية لعلي وقد تقدم.
عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط
مرحل
من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه ثم
جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).
مناقب الإمام علي في سنن النسائي: عن زر بن حبيش قال: سمعت عليا
رضي الله عنه يقول: (والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمين إلي أنه
لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).
مناقب الإمام علي في سنن الترمذي: حديث زيد بن أرقم (الثقلين
والولاية لعلي) وقد تقدم. وحديث عمر بن أبي سلمة في قوله تعالى (إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقد تقدم.
عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله
لما
يغذوكم من نعمة وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي).
عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن
والحسين:
(أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم).
عن بريدة قال: (كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ومن
الرجال
علي).
عن عائشة رضي الله عنها سئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما
علمت
صواما قواما.
مناقب الإمام علي في سنن ابن ماجة: عن علي كرم الله وجهه قال: (عهد
إلي النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).

عن البراء بن عازب قال: (أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج،
فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة، فأخذ بيد علي فقال: (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا: بلى. قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟
قالوا: بلى. قال: (فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه. اللهم عاد من عاداه).
عن علي رضي الله عنه قال: (إن رسول الله بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر، قلت: يا رسول الله إني أرمد العين فتفل في عيني، ثم قال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد. قال فما وجدت حرا ولا بردا بعد يومئذ. وقال: لأبعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار). فتشرف له الناس فبعث إلى علي فأعطاها إياه.
عن حبيش بن جنادة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (علي مني وأنا منه
ولا يؤدي عني إلا علي) (فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسورة براءة).
عن زيد بن أرقم قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين: (أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم). وقد تقدم من رواية الترمذي.
مناقب الإمام علي في المستدرك للحاكم: حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: حديث الثقلين ومن كنت مولاه فعلي مولاه. وقد تقدم.
وحديث بريدة الأسلمي: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقد تقدم.
عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم علي بن أبي طالب، فمضى علي في السرية فأصاب جارية،
فأنكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا لقينا النبي صلى الله عليه وسلم
أخبرناه بما صنع علي. قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظروا إليه وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم. فلما قدمت
السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر
أن عليا صنع كذا وكذا، فأعرض عنه: ثم قام الثاني فقال مثل ذلك، ثم قام

الثالث فقال مثل ذلك، فأعرض عنه. ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم تر
عليا صنع كذا وكذا، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب في وجهه
فقال: (ما
تريدون من علي. إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن).
عن علي رضي الله عنه قال: (إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر
لا يقولها بعدي إلا كاذب).
عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة رضي الله عنها فقالت:
(أيسب رسول الله فيكم؟ فقلت: معاذ الله، فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم
يقول: (من سب عليا فقد سبني). وأورده بروايات عدة.
عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني فقد
أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله. ومن عصى عليا فقد عصاني).
عن عمرو بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الحديبية، قال: خرجنا
مع علي رضي الله عنه إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي، فلما
قدمت أظهرت شكايته في المسجد، حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
(فقال: يا عمرو
أما والله لقد آذيتني، فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال: بلى، من
أذى عليا فقد آذاني).
عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (علي
مع
القرآن، والقرآن مع علي. لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض).
عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله عليا: اللهم
أدر
الحق معه حيث دار).
عن زيد بن أرقم قال: (كانت لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب
شارعة في المسجد، فقال يوما: سدوا هذه الأبواب إلا علي. قال: فتكلم في ذلك
ناس، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني
أمرت
بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئا ولا فتحته
ولكن أمرت بشئ فاتبعته).
عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لقد أعطي

علي بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى
حمر النعم. قيل وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم،
وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحل له فيه ما يحل له، والراية
يوم خيبر.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا مدينة
العلم
وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب).
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي فقال: (يا
علي
أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة. حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله. وعدوك
عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي).
عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله
ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب).
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو
آخذ بضبع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: (هذا أمير البررة قاتل
الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله)، ثم مد بها صوته.
قال رجل لسلمان (الفارسي رضي الله عنه): ما أشد حبك لعلي. قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض
عليا فقد
أبغضني).
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
فقدم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرخ مشوي فقال: (اللهم آتني بأحب خلقك إليك
يأكل معي
هذا الطير. فقلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار. فجاء علي رضي الله عنه
فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاجة، ثم جاء فقلت: إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
حاجة، ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، افتح فدخل. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ما
حبسك علي؟ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة.
فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن

يكون رجلا من قومي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل قد يحب قومه).

وروى الحديث أعلاه بعدة طرق كلها عن أنس رضي الله عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لعلي: (أنت ولي في الدنيا والآخرة). قال ابن عباس: وكان علي أول من آمن
بعد خديجة رضي الله عنها. قال وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على علي وفاطمة
وحسن وحسين وقال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا).
وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه).
عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: يا علي طوبى لمن
أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك).
ولما بعثه إلى اليمن وولاه القضاء وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال:
اللهم ثبت لسانه واهد قلبه. قال علي فما شككت في قضاء بعده.
عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أولكم واردا علي
الحوض أولكم إسلاما، علي بن أبي طالب).
عن سعد بن زرارة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوحي إلي في علي ثلاث:
أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين).
عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأمة ستغدر بك
بعدي، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي. من أحبك أحبني، ومن أبغضك
أبغضني وإن هذه ستخضب من هذا) يعني لحيته من رأسه.
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي
نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار).
عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: (أي الناس كان أحب إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة، قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمته
صواما قواما).
عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة عند شجرات
خمس، دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عشية ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: (أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. ثم قال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرات، قالوا: نعم – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه).

عن إسحاق قال: سألت قثم بن العباس رضي الله عنهما، كيف ورث علي رسول الله دونكم؟ قال: (لأنه كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا).

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (إن أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب رضي الله عنه (بعد خديجة رضي الله عنها لأنها كانت أول الناس إسلاما قاطبة).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (النظر إلى
وجه علي عبادة).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: (من فارقني فقد
فارق الله، ومن فارقك فقد فارقني).

هذه بعض الأحاديث الواردة عن الإمام علي كرم الله وجهه وقد أوجزنا خشية الإطالة.

بعض الأحاديث الواردة في فاطمة وبنيها (رضي الله عنهم أجمعين)

عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني).

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي في سننه وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاطمة سيدة نساء
أهل الجنة).

أخرجه البخاري في صحيحه.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية

رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فلما رآها رحب بها فقال: (مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه
أو شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديدا، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار ثم أنت
تبكين!! فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: (ما
كنت أفشي على رسول الله سره، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: عزمت عليك بما
لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما الآن فنعم.
أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه في كل سنة مرة وأنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الاجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: (يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة. قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت).
عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا ملك لم ينزل
الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).
أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك
عن عبد الله بن الزبير يرفعه: (إن فاطمة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها). رواه الترمذي وقد تقدم من رواية المسور بن مخرمة مثله.
عن عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدا أشبه سمتا ولا هديا برسول
الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وكانت إذا
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا
دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته مجلسها. فلما مرض النبي صلى الله عليه وسلم
دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت: إني كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا فإذا هي من النساء، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قلت لها: أرأيت حين أكببت على

النبي صلى الله عليه وسلم
فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت، ما حملك على

ذلك؟ قالت: إني أذن لبذرة، أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم أخبرني إني أسرع أهله لحوقا به، وذلك حين ضحكت).
أخرجه الترمذي.
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة
رضي الله عنها فقال: إني وإياك وهذا النائم، يعني عليا، وهما، يعني الحسن والحسين، لفي مكان واحد يوم القيامة).
أخرجه المستدرك.
وهو في الآية الكريمة من قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم (وفي قراءة ذرياتهم) بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ) (سورة الطور آية ٢١).
قال أهل التفسير: يلحق الله سبحانه وتعالى الأبناء والذرية بالآباء وإن كانوا أعلى منهم مقاما يوم القيامة فيجعلهم معهم وفي درجتهم إكراما للآباء.
وهو أيضا في قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) (سورة الرعد ٢٣). يلحق الله الآباء والذرية بالصالحين من الجنة هم وأزواجهم يحبرون، فضلا من الله ونعمة، وإن كانوا أقل منهم في العمل والدرجة.
وقد تقدم ما ورد من أحاديث عن أم سلمة وابنها عمر وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) كما تقدم ما ورد من أحاديث في آية المباهلة (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فلا حاجة لإعادته.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي وفاطمة والحسن
والحسين فقال: (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) وقد تقدم برواياته المختلفة.

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة
ومن الرجال علي.
أخرجه الحاكم في المستدرك.
وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في مرضه الذي توفي فيه:
(يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة).
أخرجه الحاكم في المستدرك.
وعنها رضي الله عنها أنها سئلت: (أي الناس كان أحب إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة: قيل فمن الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمته
صواما قواما). أخرجه الحاكم في المستدرك وعنها رضي الله عنها قالت: (ما رأيت أحدا كان أشبه كلاما وحديثا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه
قام فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت إليه مستقبلة وقبلت يده).
أخرجه الحاكم في المستدرك.
وعنها رضي الله عنها: أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: ما
رأيت أحدا كان أصدقه لهجة منها إلا أن يكون والدها.
أخرجه الحاكم في المستدرك.
عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد).
أخرجه الحاكم في المستدرك.
بعض مناقب الحسن والحسين (رضي الله عنهما)
عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه والحسن
ويقول: (اللهم إني أحبهما فأحبهما).
رواه البخاري في صحيحه
عن أبي بكرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر

إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين
من المسلمين).
أخرجه البخاري والترمذي.
عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي على
عاتقه
يقول: (اللهم إني أحبه فأحبه)
أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.
عن ابن عمر قال: قال أبو بكر (رضي الله عنهم أجمعين): (ارقبوا محمدا
من أهل بيته).
أخرجه البخاري.
عن أنس: (لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي).
أخرجه البخاري.
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أهل العراق يسألون عن قتل الذباب
وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم:
(هما ريحانتاي من الدنيا)
أخرجه البخاري والترمذي.
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن: (اللهم إني أحبه فأحبه
وأحبب من يحبه). وروي مثله عن البراء بن عازب.
وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
حامل حسنا أو حسينا فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى
فسجد بين
ظهراني صلاته سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم، قال الناس:
يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد
حدث أمرا أو أنه يوحى إليك. قال: (كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت
أن أعجله حتى يقضي حاجته).
أخرجه النسائي في سننه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحسن
والحسين سيدا شباب أهل الجنة).
أخرجه الترمذي وابن ماجة.
عن ابن عمر وزاد فيه (وأبوهما خير منهما).
عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في بعض
الحاجة فخرج النبي وهو مشتمل على شئ لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي،
قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه
فقال: (هذان ابناي وابنا ابنتي. اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)
أخرجه الترمذي.
عن أنس بن مالك قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي أهل بيتك أحب إليك
قال: الحسن والحسين. وكان يقول لفاطمة: ادعي لي ابني فيشمهما ويضمهما إليه).
أخرجه الترمذي.
عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حسين مني وأنا من حسين.
أحب الله من أحب حسينا. حسين سبط من الأسباط).
أخرجه الترمذي وابن ماجة.
عن علي كرم الله وجهه قال: (الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر
إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك).
أخرجه الترمذي.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن
ابن علي على عاتقه فقال رجل: نعم المركب يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ونعم الراكب هو).
أخرجه الترمذي.
أحاديث في آل البيت عامة
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته
يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: (يا أيها الناس إني تركت

فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي).
أخرجه الترمذي.
عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن
تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أثقل من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما).
أخرجه مسلم والترمذي والحاكم وأحمد وقد تقدم برواياته المختلفة.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمته
وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي).
أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم.
عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين:
(أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم).
أخرجه الترمذي، وابن ماجة والحاكم.
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي
نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار).
أخرجه الحاكم، رواه عن ابن عباس وجاء فيه (فلو أن رجلا صفن بين
الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار).
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ليلة زفافه بفاطمة: (لا تحدث شيئا حتى تلقاني،
فدعا صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما وقال: اللهم
بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما).
أخرجه النسائي.
عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي).
رواه الحاكم في المستدرك وأبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير وابن عساكر.
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النجوم أمان لأهل

الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب الشيطان).
أخرجه الحاكم وصححه الذهبي.
عن أبي ذر رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل أهل بيتي فيكم
مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها أغرق).
أخرجه الحاكم في المستدرك واحمد في مسنده وابن جرير والطبراني في الكبير.
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن فاطمة
أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار).
أخرجه الحاكم من المستدرك.
عن علي بن الحسين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي رضي الله عنه أم كلثوم فقال علي: إني أرصدها لابن أخي عبد الله بن جعفر. فقال عمر: أنكحنيها، ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده. فأنكحه علي، فأتى عمر المهاجرين، فقال ألا تهنئوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل
نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب وسبب).
أخرجه الحاكم في المستدرك.
عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سره أن يحيا
حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي وعملي فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي).
رواه الطبراني والرافعي (١).

---

(١) أبو تراب الظاهري: ملحق رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٣٠. دار القبلة.

عن عبد المطلب بن ربيعة مرفوعا: (والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي).
أخرجه الإمام أحمد في مسنده.
عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار).
أخرجه الطبراني.
عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال
أقوام يتحدثون، فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم. والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني).
رآه الروياني والطبراني وابن عساكر.
من أصول الاسلام محبة آل البيت
كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في وجوب محبة آل البيت وتوقيرهم
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في: (رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم (١)).
(فهذه أصول الاسلام التي هي الكتاب والحكمة والاعتصام بحبل الله جميعا، على أهل الايمان الاستمساك بها. ولا ريب أن الله قد أوجب فيها من حرمة خلفائه وأهل بيته والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان ما أوجب. قال الله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما).
(وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة: أن هذه الآية لما نزلت (٢) أدار النبي صلى الله عليه وسلم كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم

---

(١) رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لشيخ الاسلام ابن تيمية تعليق أبي تراب الظاهري ص ٢٠ – ٢٣.
(٢) الآية المقصودة: (إنما يريد الله ليذهب الله عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). وسنته
تفسر كتاب الله وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه. فلما قال: (هؤلاء أهل بيتي) مع أن
سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل
بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب
أقوى من صلة الصهر، والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال، لا
للاختصاص بأصل الحكم).
ثم قال: (ولما بين الله سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته
ويطهرهم تطهيرا، دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصا
به وهم:
علي وفاطمة رضي الله عنهما، وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضي
لهم بالتطهير، وبين أن قضي لهم بكمال دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من
ذلك ما دلنا
على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله ليسبغها عليهم ورحمة من
الله وفضلا.
ثم قال: (ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة الأجور والوزر
بلغنا عن الإمام علي بن الحسين، زين العابدين وقرة عين الاسلام أنه قال: (إني
لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسئ منا
وزرين).
(وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم
بغدير يدعى خم بين مكة والمدينة. فقال: (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي،
أذكركم الله في أهل بيتي). قيل لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: الذين
حرموا الصدقة: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس. قيل لزيد: أكل هؤلاء
أهل بيته قال: نعم) (١).
(وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه: (إن
الله
وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

----

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والنسائي في سننه والترمذي في جامعه.

سأل الصحابة: كيف يصلون عليه فقال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد). وفي حديث صحيح: (اللهم صلي على محمد وأزواجه وذريته).

وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول تمرة من تمر الصدقة قاله له: (كخ، كخ، أما علمت أنا آل بيت لا تحل لنا الصدقة) (١) وقال: (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) (٢).

(وهذا والله أعلم من التطهير الذي شرعه الله لهم، فإن الصدقة أوساخ الناس، فطهرهم الله من الأوساخ، وعوضهم بما يقيتهم من خمس الغنائم، ومن الفئ الذي جعل منه رزق محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد وغيره: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم) ولهذا ينبغي أن يكون اهتمامهم (أي المسلمين) بكفاية أهل البيت الذين حرمت عليه الصدقة أكثر من اهتمامهم بكفاية الآخرين من الصدقة، لا سيما إذا تعذر أخذهم من الخمس والفئ، إما لقلة ذلك، وإنا لظلم من يستولي على حقوقهم، فيمنعهم إياها من ولاة الظلم، فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفيهم إذا لم تحصل كفايتهم من الخمس والفئ) (٣).

ثم قال: (وأما العالم العادل فلا يقول إلا الحق (في آل البيت) ولا يتبع إلا إياه، ولهذا من يتبع المنقول، الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه وأصحابه وأئمة أهل بيته، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين وابنه الامام أبي جعفر محمد ابن علي الباقر وابنه الامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة، ومثل مالك بن أنس (*) (إمام دار الهجرة) والثوري وطبقتهما، وجد ذلك جميعه متفقا مجتمعا في أصول دينهم وجماع شرائعهم، ووجد في ذلك ما يشغله وما يغنيه عما

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده.

(٣) رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٤ – ٢٥.

* كتبت خطأ أنس بن مالك، والسياق يدل على أنه الامام مالك بن أنس لأنه قرنه بالثوري.

أحدثه كثير من المتأخرين من أنواع المقالات التي تخالف ما كان عليه أولئك السلف (وهؤلاء المتأخرون) ممن ينتصب لعداوة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبخسهم
حقوقهم ويؤذيهم أو ممن يغلو فيهم غير الحق ويفتري عليهم الكذب ويبخس السابقين والطائعين حقوقهم) (١).
ثم قال: (ومن ذلك أن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه وأحد سيدي شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدي من قتله من الفجرة الأشقياء، وكان ذلك مصيبة من أعظم المصائب الواقعة في الاسلام. وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين، وقد كانت شهدت مصرع أبيها، عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعا، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الاجر يوم أصيب بها). فقد
علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة ستجدد ذكرها مع تقادم العهد، فكان من محاسن الاسلام أن روى هذا الحديث صاحب المصيبة والمصاب به أولا، ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضي الله عنه، ورفعا لدرجته ومنزلته عند الله وتبليغا له منازل الشهداء وإلحاقا له بأهل بيته الذين ابتلوا بأصناف البلاء، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء ما حصل لجدهما ولأمهما وعمهما (وأبيهما) لأنهما ولدا في عز الاسلام وتربيا في حجور المؤمنين، فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة: أحدهما مسموما (وهو الحسن بن علي رضي الله عنه) والآخر مقتولا (وهو الإمام الحسين)، لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل البلاء كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد سئل أي الناس أشد بلاء؟ فقال: (الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة).
(وشقي بقتله من أعان عليه أو رضي به، فالذي شرعه الله للمؤمنين عند الإصابة بالمصائب وإن عظمت أن يقولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد روى

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥، ٣٦.

الشافعي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات وأصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم،
سمعوا قائلا يقول: يا آل بيت رسول الله، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا، وإياه فأرجوا، فإن المصاب من حرم الثواب. فكانوا يرونه الخضر جاء يعزيهم بالنبي صلى الله عليه وسلم) (١).
ثم قال: (وقد يجمع الله في الوقت شخصا أو نوعا من النعمة التي توجب شكرا أو المحنة التي توجب صبرا. كما أن سابع عشر من شهر رمضان فيه كانت موقعة بدر، وفيه كان مقتل علي رضي الله عنه، وأبلغ من ذلك: أن يوم الاثنين في ربيع الأول مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفيه هجرته وفيه وفاته) (٢).
ثم قال: (ويستحب صوم التاسع والعاشر (من شهر المحرم) ولا يستحب الكحل، والذين يصنعونه من الكحل من أهل الدين لا يقصدون به مناصبة أهل البيت، وإن كانوا مخطئين في فعلهم، ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره، أو فرح، أو استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي) لما شكا
إليه العباس أن بعض قريش يجفون بني هاشم. وقال: (إن الله اصطفى قريشا من بني كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم). وروي عنه أنه قال: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله (إياي)، وأحبوا أهل بيتي لحبي) وهذا باب واسع يطول القول فيه).
كلام ابن تيمية في حقوق آل البيت وأن بغضهم علامة الكفر والنفاق
قال ابن تيمية في الفتاوي الكبرى (٤):

----

(١) المصدر السابق ص ٣٩ – ٤١. وفيه دلالة على أن الإمام الشافعي وابن تيمية كانا يعتقدان بحياة الخضر، والخضر قد كان في زمن موسى عليه السلام وبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قرابة ألفي عام... وممن
يقول بحياة الخضر الامام النووي وغيره من كبار علماء الأمة الاسلامية.
(٢) المصدر السابق ص ٤٣.
(٣) المصدر السابق ص ٤٣، ٤٤.
(٤) الفتاوي الكبرى ج ٣: ١٥٤ وهو أيضا في العقيدة الواسطية بلفظ مقارب.

(ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم:
(أذكركم الله في أهل بيتي). وقال للعباس، عمه، وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي).
وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة،
واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم).
وقال في الفتاوي (١): (آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب
رعايتها، فإن الله جعل لهم حقا من الخمس والفئ، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال لنا (قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). وآل محمد هم الذي حرمت عليهم الصدقة. هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل
محمد). وقد قال الله في كتابه: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس. وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس لما شكا إليه جفوة قوم لهم: (والذي نفسي بيده
لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي). وفي الصحيح أنه قال: (إن الله اصطفى... الحديث)).
ولا شك أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي محبة آل بيت النبي وتوقيرهم واحترامهم والاحسان إلى محسنهم والتجاوز عن مسيئهم.. والكتب في ذلك طافحة بمحبتهم واعتقادهم وتوقيرهم اتباعا لأمر الله وأمر رسوله. ومن أبغضهم فهو كافر أو منافق كما ورد في الأحاديث.. وهم الخوارج الذين وردت فيهم الأحاديث الصحيحة وأنهم يمرقون من الدين كما تمرق الرمية من السهم. وأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.. وهم الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم.

---

(١) ج ٣: ٤٠٧.

قال الإمام ابن تيمية في كتابه (فضل أهل البيت وحقوقهم):
(وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح أنه قال: تمرق مارقة على حين فرقة
من المسلمين تقتلهم أولى الطائفين بالحق. وهذه المارقة هم أهل حروراء (الخوارج). الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه لما مرقوا من الاسلام، وخرجوا عليه، فكفروه وكفروا سائر المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم.
(وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متواترة أنه وصفهم وأمر بقتالهم فقال:
(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقرآنه مع قرآنهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الذين يقتلونهم ما لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل).
فقتلهم علي رضي الله عنه وأصحابه. وسر أمير المؤمنين بقتلهم سرورا شديدا وسجد لله شكرا، لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخدج اليد، الذي على يده البضعة من اللحم، عليها شعرات، فاتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم. وندم كثير منهم كابن عمر وغيره ألا يكونوا شهدوا قتالهم مع أمير المؤمنين).
وندد ابن تيمية بالذين لا يلعنون الخوارج ولا يبغضونهم ولا يحاربونهم.
موقف أهل السنة من آل البيت النبوي الكريم
وأهل السنة على هذا القول الذي قاله الإمام ابن تيمية رحمه الله.
موقف الامام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ ه) (مالك بن أنس بن عامر الأصبحي نسبة إلى أصبح قبيلة من حمير في اليمن).
كان موقف الامام مالك صلبا قويا في تأييده لذرية فاطمة رضي الله عنها.
وهو لم يكتف فقط بلعن الخوارج ومحبة أهل البيت عامة وتوقيرهم، ولكنه وقف موقفا شجاعا جريئا في تأييده لمحمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١).

---

(١) محمد النفس الزكية (٩٣ - ١٤٥ ه) ولد ونشأ بالمدينة. كان يقال له صريح قريش لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد وكن كلهن من قريش، وكان غزير العلم سخيا شجاعا. وقد تمت له البيعة سرا في أواخر العهد الأموي وممن بايعه السفاح والمنصور وكانا من ضمن دعاته.. وكانت الدعوة للرضا من آل محمد، فلما ظهر أبو مسلم الخراساني. نكث محمد بن عبد الله السفاح وأبو جعفر المنصور بيعتهما وقاما بالملك. فلما تولى المنصور طلب البيعة لنفسه من محمد النفس الزكية ووالده وأهله وقبض على والده عبد الله بن الحسن فقتله المنصور واثني عشر من عشيرته. وخرج محمد النفس الزكية على المنصور وبايعه أهل المدينة بالخلافة، ثم انتصر عليه المنصور العباسي وقتله.

قال الامام الطبري في تاريخه (ج ٧ / ٥٣٩، ٥٦٠): (أخبرنا غير واحد أن مالك بن أنس أستفتي في الخروج مع محمد عبد الله بن الحسن (صاحب النفس الزكية)، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال: (إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين) فأسرع الناس إلى محمد. ولزم مالك بيته).

وذكر مثله ابن كثير في البداية والنهاية ج ١٠ / ١٧٤ وابن الأثير في (الكامل في التاريخ) وقال عبد الغني الدقر في كتابه الامام مالك بن أنس (١): (فلقد سعي بمالك إلى جعفر بن سليمان بن علي عم أبي جعفر المنصور وقيل له: إنه لا يرى خلافتكم، فغضب، واستشار قاضي المدينة محمد بن عبد العزيز بن عمر، فأشار عليه بضربه، فدعا به، وجرده (من الثياب)، وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلع كتفه، وكان ذلك سنة ست وأربعين ومائة. وفي الانتقاء، سنة أربعين ومائة، ولكنه لم يزل بعد ذلك في رفعة وعلو فكأنما كانت تلك السياط حليا له، ولكنه أوذي في جسده حتى كان يحمل يده اليمنى باليسرى أو بالعكس).

(لقد خشي أوائل الخلفاء العباسيين أن تزلزل ملكهم فتوى مالك، فتوى واحدة، (ليس على مستكره طلاق) فقاموا وقعدوا. وهنا تبرز قوة مالك. أقض مضاجع العباسيين الأول بكلمة، بفتوى، وقد كانوا أمضى قوة من ملوك الأرض، زمنهم.

هنا يظهر سلطان العلم والشرع في مالك. وأنه فوق عظم الخلافة والملك.

ولولا أن الناس تخشى بطش السلطان لطرد السلطان وبقي العالم.

(وفي الحلية (أي حلية الأولياء لأبي نعيم) عن ابن وهب أن مالكا لما ضرب

---

(١) دار القلم. سلسلة أعلام المسلمين (٢٣) بيروت – دمشق: ص ٣٧٢ وما بعدها.

حلق (شعر رأسه) وحمل على بعير فقيل له: ناد على نفسك: فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني، فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول: طلاق المكره ليس بشئ. قال: فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال: أدركوه، أنزلوه).

وكان مالك رضي الله عنه يعتقد أن بيعة المنصور باطلة، وأن صاحبها هو محمد النفس الزكية. وكان المنصور وولاته قد أخذوا الايمان على الناس ببيعته، وكان من تلك الايمان أن تطلق زوجة الرجل إذا هو نكث بيعة المنصور. فقام الامام مالك بإصدار فتواه: (ليس على مكره يمين) وأن (طلاق المكره لا يقع). فانطلق الناس يبايعون محمد النفس الزكية، وقد كانوا يتحرجون من أيمانهم التي أكرهوا عليها عند مبايعتهم للمنصور. وقال مالك: (ليس على مستكره طلاق).

وخرجت الفتوى وانطلق الناس في المدينة إلى محمد النفس الزكية يبايعونه..

وجن جنون السلطة العباسية فقام والي المدينة جعفر بن سليمان العباسي وضرب مالك ضربا مبرحا وحلق شعره وطاف به على دابة مجللا بالسواد ووجهه إلى ذيل الدابة.

واعتزل مالك الناس بعد فشل ثورة النفس الزكية وبقي في بيته. قال الواقدي: كان مالك يحضر المسجد ويشهد الجمعة والجنائز ويعود المرضى ويجيب الدعوة ويقضي الحقوق زمانا، ثم ترك الجلوس في فناء المسجد، فكان يصلي وينصرف، ثم ترك عيادة المرضى وشهود الجنائز، فكان يأتي أصحابها ويعزيهم، ثم ترك مجالسة الناس ومخالطتهم، والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى الجمعة، ولا يعزي أحدا ولا يقضي له حقا، فكان يقال له في ذلك فيقول: (ما يتهيأ لكل أحد أن يذكر ما فيه، فاحتمل الناس له كل ذلك حتى مات على ذلك).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته فلم يأتي أحدا لا لعزاء ولا لهناء، ولا يخرج لجمعة ولا جماعة، ويقول: ما كل ما يعلم يقال، وليس كل أحد يقدر على الاعتذار).

ويقال أن المنصور لما حج بعد أن استتب له الأمر زار المدينة وأراد أن يظهر

براءته من ضرب الامام مالك فأقاد مالكا من جعفر بن سليمان العباسي (عم المنصور وواليه على المدينة الذي أمر بضرب مالك) فقال مالك: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط على جسمي إلا وأنا أجعله في حل من ذلك لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الذراوردي: سمعته يقول، حين ضربه: (اللهم اغفر لقومي فإنهم
لا يعلمون).

وهو موقف نبيل من الامام مالك، يتشبه فيه بموقف الحبيب الأعظم
محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان هذا الطود العظيم والعلم الشامخ، منافحا عن آل بيت النبي،
فضرب وأهين وخلع كتفه وهو ثابت على ولائه للنفس الزكية حفيد الحسن بن علي وفاطمة بنت محمد رضي الله عن الجميع.

ومع هذا لم يحقد على من ضربه بل عفا عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورغم هذا كله فقد عرف عن الامام مالك عزوفه عن السياسة والمشاركة
فيها، إلا أنه لم يملك نفسه عندما رأى النفس الزكية قد خرج من أن يشجع الناس بفتواه على الانخراط في ثورته ضد المنصور العباسي، وأن يتحللوا من أيمانهم المغلظة التي أخذها منهم والي المنصور العباس كرها.. فقال قولته المشهورة (ليس على مستكره يمين) وقال: (ليس على مستكره طلاق). وقد كانت تلك الايمان التي أخذها ولاة المنصور، يذكر فيها أن زوجة المرء تطلق إذا هو نكث بيعة المنصور.

ورغم هذه الظروف القاسية والمحنة التي مر بها الامام مالك إلا أنه ثبت
لها. ولما انتهت ثورة النفس الزكية بالفشل وقتل هو وأنصاره، وتم الامر للمنصور اعتزل الامام مالك الناس في بيته.. ومع هذا كان يخرج لهم في داره يعلمهم الفقه والحديث.. ويعظ الملوك والولاة. ويأتيه المنصور ويعتذر إليه عما فعله عمه جعفر والي المدينة.. ويقول له: (ضع للناس كتابا أحملهم عليه.. ضعه فما أحد اليوم أعلم منك). ويعتذر مالك عن حمل الناس على كتابه الموطأ. ويموت المنصور والمهدي من بعده، ومالك لا يزال يراجع كتابه الموطأ. حتى إذا أتى الرشيد ذكر لمالك ما قاله جده المنصور فيأبى مالك أن يفرض كتابه على الناس ويقول: إن

أصحاب رسول الله تفرقوا في البلاد.. وأفتى أهل كل مصر بما وصل لديهم ورأوه. فلا تحمل الناس على الموطأ.
وهكذا كان هذا العلم شامخا في علمه وتواضعه وصبره وحلمه وجهاده.
وكان شديدا في الفتيا وكثيرا ما كان يسأل عن المسألة فيقول: لا أدري. وقد اشتهرت قصة الرجل الذي جاءه من المغرب في مسألة يستفتيه فقال له مالك: لا أدري. فقال الرجل: أتقول لا أدري وأنت أعلم أهل الأرض اليوم وقد جئتك من بلاد بعيدة وسافرت إليك ستة أشهر؟ فقال مالك: إذهب إلى بلادك وقل لهم: مالك يقول لا أدري.
ولقد استفاد الامام مالك من صحبة الإمام جعفر الصادق. وكان كلا منهما يحب صاحبه ويوقره. قال مالك: (كنت آتي جعفر بن محمد، وكان كثير المزاح والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اخضر واصفر. ولقد اختلفت إليه زمانا، فما
كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصليا وإما صائما وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله إلا على الطهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء الزهاد العباد الذين يخشون الله. وما رأيته قط، إلا يخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي).
أبو حنيفة النعمان (٨٠ – ١٥١) (النعمان بن ثابت بن زوطي بن تباه الكوفي المولد. فارسي الأب والام. أصله من بلخ (شمال أفغانستان). لقي ستة من الصحابة منهم أنس بن مالك. وسمع من التابعين.
وقد أفاد الامام مالك من الإمام جعفر الصادق ومن أبيه الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين، رحم الله الجميع.
كان الإمام أبو حنيفة النعمان من أشد الناس حبا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقد تتلمذ الإمام أبو حنيفة لمجموعة من أعلام البيت النبوي منهم الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين (١). وقد ذهب إليه الإمام أبو حنيفة إلى المدينة المنورة

---

(١) محمد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب: أبو جعفر الباقر: (٥٧ – ١١٤ ه) ولد بالمدينة وتوفي بها. أخذ العلم عن أبيه علي زين العابدين وآل بيته الكرام وبهم تأدب. كان ناسكا عالما زاهدا. سمي بالباقر، من بقر الأرض أو بقر البطن أي شقها، لأنه بقر العلم وأظهر مخبآت كنوز المعارف وحقائق الاحكام. وقد روى ابن المديني عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما) أنه قال لمحمد بن علي وهو صغير: رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك فقيل له: وكيف ذلك؟ قال:
كنت جالسا عنده والحسين في حجره يلاعبه. فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا

كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإذا أدركته يا جابر فاقرئه مني السلام. وهو علوي من جهة أبيه وأمه. قال الامام الحداد:

والباقر السجاد خير مهذب

العالم الرباني المتورع

وأخذ عنه. كما أخذ عن أخيه الامام زيد بن علي لمدة سنتين في العراق. وكان من مناصريه ومؤيديه. وأخذ أبو حنيفة أيضا عن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وهو والد محمد، المعروف بالنفس الزكية، والذي قام بالثورة ضد المنصور العباسي وناصره الامام مالك حتى عذب فيه وأهين وضرب بالسياط من أجل تشجيعه لأهل المدينة لنقض بيعة المنصور التي أخذت قسرا.

وكان عبد الله بن الحسن كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة (١) (محدثا ثقة صدوقا، روى عن التابعين وعن ابن عم أبيه علي زين العابدين، وروى عنه جمع من المحدثين، منهم سفيان الثوري ومالك رضي الله عنه، وكان معظما عند العلماء، وكان عابدا زاهدا وفد على عمر بن عبد العزيز في خلافته فأكرمه...

وتتلمذ عليه أبو حنيفة، وكانت له به مودة خاصة. وقد توفي عبد الله في محبس أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥ ه وذلك عندما هجم المنصور على المدينة واقتاد عبد الله بن الحسن وأخاه إبراهيم وسجنهما وعذبهما وماتا في السجن انتقاما من ثورة محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن.

وكانت صلة الامام أبي حنيفة قوية ووطيدة بالامام زيد بن علي وقد تلقى عنه العلم وقد قال أبو حنيفة لمن سأله عمن تلقى علمه فقال: (كنت في معدن العلم ولزمت فقيها من فقهائهم) (١) يقصد الامام زيد بن علي زين العابدين ابن

---

(١) محمد أبو زهرة: الامام زيد،
حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة ص ٣٨.
(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٣ كما ينقله عنه أبو زهرة المصدر السابق ص ٤١.

الحسين السبط، ومعدن العلم: آل البيت.
وعندما خرج الامام زيد بن علي على هشام بن عبد الملك الأموي بعد أن بلغ السيل الزبى وزادت جرائمه وقام أهل العراق بمبايعة زيد سرا، كان الإمام أبو حنيفة من أوائل من شجع تلاميذه والناس عامة للانضمام لثورة الامام زيد، مع أن كثيرا من آل البيت كانوا يتخوفون من نكث أهل العراق لبيعتهم للامام زيد.
وقد كتب عبد الله بن الحسن المثنى الذي كان يكبر زيد سنا خطابا هذا نصه: (أما بعد، فإن أهل الكوفة نفخ في العلانية، خور في السريرة، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تتقدمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم، ولقد تواترت إلي كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، يأسا منهم، واطراحا لهم، وما لهم مثل إلا كما قال علي بن أبي طالب: إن أهملتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمامة طعنتم، وإن أجبتم إلى مشقة نكصتم) (١).
وقد بعث إليه، ابن أخيه الإمام جعفر الصادق خطابا مماثلا.. ولكن الامام زيد رأى أن ظلم هشام بن عبد الملك قد جاوز الحد، وأنه لا عذر له في الثورة ضده ما دام قد بايع له ثلاثون ألفا من أهل العراق.
وقد نكصوا كلهم عند الجد ولم يبق معه إلا عدة أهل بدر فصبروا في القتال وانهزم الجيش الأموي اللجب عند الالتحام فاستخدموا السهام حتى أصابوا الامام زيد بسهم كانت فيه شهادته.
يقول الشيخ أبو زهرة (٢): (ولقد كان العلماء يعتبرون ثورة زيد على الطغيان الأموي ثورة أهل العلم والزهادة والنسك عليهم حتى أن بعض المؤرخين يذكر أن الذين قاتلوا مع زيد كانوا من القراء والفقهاء، وأن الآخرين تخلفوا عنه. وقد قال أبو حنيفة، ضاهأ خروجه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر. فقيل له: لم تخلفت

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٥: ٨٧.
(٢) الامام زيد: حياته وعصره. دار الفكر العربي، القاهرة ص ٧٢.

عنه؟ قال حبسني عنه ودائع الناس عرضتها على ابن أبي ليلى (أحد فقهاء العراق)، فلم يقبل. فخفت أن أموت جهلا. ويروى أنه قال في الاعتذار عن عدم الخروج: لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه، لأنه إمام حق. ولكن أعينه بمالي، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم، وقال للرسول: إبسط عذري له) (١).

(ولقد أرسل أبو حنيفة مع أحد الفقهاء الذين خرجوا مع زيد في رسالة أرسلها إليه: قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح) (٢) وقال الإمام جعفر الصادق عن أبي حنيفة: (رحم الله أبا حنيفة، لقد تحققت مودته لنا في نصرته) (٣).

ورغم أن ثورة الامام زيد انتهت باستشهاده واستشهاد من معه، ثم صلبه ورمي جثمانه في كناسة الكوفة، إلا أن هذه الثورة كانت الفتيل الذي أشعل الثورة الكبرى والتي أنهت حكم الأمويين إلى الأبد.. فقد ضاق الناس ذرعا بهذا الظلم والتعدي على حرمات الله وحرمات آل بيته وسب فاطمة وعليا والحسن والحسين ونسلهما. وأدى ذلك إلى القيام بالثورة التي كانت للرضا من آل محمد.. وقد استطاع السفاح والمنصور بذكائهما المفرط أن يستوليا على مكاسب الثورة، ويحولاها لصالحهما وصالح بني العباس. مع أنهما قد بايعا سرا النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وأدى ذلك إلى ما وصفناه من موقف الامام مالك من تأييد ثورة النفس الزكية بطريقة غير مباشرة ضد المنصور العباسي مما أدى إلى مواجهة الابتلاء.

والشئ ذاته حدث للامام أبي حنيفة. فقد سر سرورا عظيما بنهاية الطغيان

----

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٧٢.

(٣) مقاتل الطالبين ص ١٤٦ كما ينقله عنه أبو زهرة في كتابه: الامام زيد: حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة.

الأموي، ولكنه فوجئ بطغيان بني العباس ضد ذرية فاطمة رضي الله عنها، وكانوا في اعتقاده الأحق بالحكم والخلافة.
وعرضت عليه الدولة العباسية المناصب فرفضها. وظل ينتقد أحكام قاضي القضاة فقيه الدولة ابن أبي ليلى.. ووقف ضد فقهاء السلطان في كل مكان، وأرسل له الخليفة الهدايا والعطايا يسترضيه فكان موقفه رفض كل عطية ومنحة من الخليفة. ثم أرسل الخليفة إليه يلح عليه في ولاية منصب قاضي القضاة لدولة هي أعظم دول الأرض قاطبة آنذاك. واستدعاه الخليفة يسأله عن سبب رفضه فقال أبو حنيفة: (والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو الحكم لك لاخترت أن أغرق. ثم إن تلك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، فلا أصلح لذلك).
فغضب الخليفة وقال: (كذبت!) فقال أبو حنيفة في هذه: (قد حكمت على نفسك.. كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو كاذب؟!) (١)
وسأله الخليفة عن سبب رفضه هداياه؟ فقال له أبو حنيفة إنها من بيت مال المسلمين، ولا حق في بيت مال المسلمين إلا للمقاتلين أو الفقراء أو العاملين في الدولة بأجر وهو ليس واحدا من هؤلاء.
فأمر الخليفة بحبسه وضربه بالسياط حتى يقبل منصب قاضي القضاة (٢).
وظل أبو حنيفة في السجن وهو شيخ قد جاوز السبعين يتعرض للضرب بالسياط رافضا بإباء وشمم أن يكون قاضي القضاة لدولة غاشمة ظالمة.. وما أخرجوه من السجن إلا وهو يعاني سكرات الموت.
وشيعه خمسون ألفا من أهل العراق واضطر الخليفة أن يصلي عليه فقال وهو يهمهم: (من يعذرني من أبي حنيفة حيا وميتا) (٣).
الإمام الشافعي محمد بن إدريس القرشي المطلبي: ١٥٠ - ٢٠٤ ه يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف. ولد بغزة (فلسطين) وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين

(١ - ٣) عبد الرحمن الشرقاوي: أئمة الفقه التسعة ص ٧٦ - ٧٧ العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٦ ه / ١٩٨٥ م).

بعد موت أبيه.. وتتلمذ على يد الامام مالك بن أنس وغيره. وإذا كان الامامان الجليلان أبو حنيفة ومالك قد تعرضا للضرب والتعذيب والسجن بسبب حبهما لآل بيت النبي من أبناء فاطمة، فإن الإمام الشافعي كاد أن يفقد حياته بسبب حبه لآل البيت وانضمامه إلى صفوف الثائرين من أبناء فاطمة.

وقد سيق الإمام الشافعي مكبلا بالحديد من صنعاء إلى بغداد ليمثل بين يدي الرشيد بتهمة مساندة أحد العلويين من أبناء فاطمة للثورة ضد حكم الرشيد.

والحق أن الإمام الشافعي تولى وظيفة قاضي في نجران فأقام العدل حتى ضاق به الوالي فأرسل الوالي للرشيد خطابا جاء فيه: (إن تسعة من العلوية تحركوا (أي ضد الرشيد)، وإن هاهنا رجلا من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي)، وأنه يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيف. فأرسل الرشيد بإحضار أولئك النفر مكبلين بالاغلال. ونجا الشافعي بقوة حجته وبوجود الإمام محمد بن الحسن (تلميذ أبي حنيفة) في مجلس الرشيد، فذكر من فضله وعلمه حتى عفا عنه الرشيد.

وتقول بعض الروايات أن الشافعي اتهم بمناصرة العلويين وهو في الحجاز وأنهم سيقوا من مكة مغلولين إلى بغداد.

وقد اشتهر الشافعي بحبه لآل البيت حتى اتهم بالتشيع. وقد روى ابن عبد البر في الانتفاء وغيره أن الشافعي قال:

إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

والروافض غلاة الشيعة. والشافعي ليس منهم قطعا، ولكن محبته لآل محمد جعلته يقول ذلك. وهي في ديوانه هكذا:

يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

يقول الشيخ أبو زهرة في كتابه: الشافعي (١):
(ولكن الشافعي مع هذه الآراء كان ككل مسلم تقي يحب آل النبي صلى الله عليه
وسلم
وعترته الطاهرة المباركة، وتلك نزعة مخلصة تصيب قلب المسلم المحض، ولقد
روينا لك عن الشافعي ما يدل على ذلك، وأنه كان لا يبالي أن يرمى بأنه رافضي
إذا كان محب لآل محمد رافضيا:
إن كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي
(ولقد اتهم كما رأيت من حياته بانضمامه للعلويين الذين خرجوا على
الرشيد، بل قيل إنه بايع من اختاروه إماما، ولا ندري أكانت هذه التهمة ناشئة
عن شبهة، وهي اشتهاره بحب آل النبي ومجاهرته بذلك، أم كانت التهمة
منبعثة من وقائع ثابتة صحيحة. ولعله كان يؤلمه ما نزل بالعلوية من الاضطهاد
وهم آل النبي ومنهم عترته، فدفعه ذلك إلى الخروج مع الخارجين،.... وكما
اتهم بخروجه بسبب محبته لعترة النبي صلى الله عليه وسلم، على أقرب الفروض الثلاثة
إلى ما
يقوله الجمهور، قد اتهم أيضا بأنه رافضي بسبب إعجابه بعلي رضي الله عنه..
(أما إعجابه بعلي فأمر قد تضافرت به الاخبار عنه، أنه ذكر علي بن أبي
طالب في مجلسه فقال رجل: ما نفر الناس عن علي إلا لأنه كان لا يبالي بأحد.
فقال الشافعي رضي الله عنه: كان فيه أربع خصال لا تكون خصلة واحدة
للانسان إلا يحق له ألا يبالي بأحد: إنه كان زاهدا، والزاهد لا يبالي بالدنيا
وأهلها، وكان عالما والعالم لا يبالي بأحد، وكان شجاعا والشجاع لا يبالي بأحد،
وكان شريفا والشريف لا يبالي بأحد.
(ولقد قال في علي رضي الله عنه: (وكان علي كرم الله وجهه قد خص بعلم
القرآن والفقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وأمره أن يقضي بين الناس وكانت
قضاياه ترفع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيمضيها)).
وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل أن يحيى بن معين ينسب الشافعي إلى الشيعة.

---

(١) الشافعي حياته وعصره – آراؤه وفقهه – دار الفكر العربي، القاهرة ص ١٤٤ – ١٤٥.

فقال أحمد ليحيى بن معين: كيف عرفت ذلك. فقال يحيى: نظرت في تصنيفه في قتال أهل البغي، فرأيته قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب. فقال أحمد متعجبا: (يا عجبا لك!! فيمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي، فإن علي أول من ابتلي من هذه الأمة بقتال أهل البغي)، فخجل ابن معين (١).

وقد امتلأ ديوان الشافعي بحب آل محمد. قال رضي الله عنه:

يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقال رضي الله عنه:

إذا نحن فضلنا عليا فإننا * روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته * رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما * بحبيهما حتى أوسد في الرمل

وهو في ذلك المعنى يتفق مع الفرزدق حين يقول:

من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم ملجا ومعتصم

ويقول الشافعي رحمه الله:

إذا في مجلس نذكر عليا * وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا * فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس * يرون الرفض حب الفاطمية

وقال رضي الله عنه:

قالوا ترفضت قلت كلا * ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك * خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضا * فإن رفضي إلى العباد

----

(١) محمد أبو زهرة: الشافعي – حياته وعصره ص ١٤٥.

الإمام أحمد بن حنبل
لم يتهم الإمام الشافعي بالتشيع فحسب، ولكن الإمام أحمد أيضا اتهم به.
وذلك لحبه الشديد لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعترته الطاهرة، ولمحبته للإمام علي كرم
الله وجهه. ولأنه أورد في فضائله في كتابه المسند ما لم يذكره عن أي صحابي آخر.
ولنفيه أن معاوية بن أبي سفيان كتب الوحي، وقال إنما كتب رسالة من الرسائل
للنبي صلى الله عليه وسلم عندما ألح عليه في ذلك أبو سفيان.
الامام النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٢١٥ - ٣٠٣ ه)
لقد اتهم الامام النسائي صاحب كتاب (السنن الكبرى) بالتشيع وضرب
ضربا مبرحا من قبل العامة في فلسطين (في الرملة). ويرجع السبب في ذلك أن
الامام النسائي وضع كتابين في فضائل الإمام علي (خصائص علي) و (مسند علي)
وكتابا في فضائل السيدة فاطمة (خصائص فاطمة) كما ذكر كثيرا من فضائل الإمام علي
في سننه الكبرى، فلما وصل إلى الشام أخذ يحدث بهذه الفضائل. فقال له أهل
الشام (بمعناه الواسع): (ألا تحدثنا عن فضائل معاوية، فاعتذر فأصر القوم فقال
لهم: لا أحفظ إلا حديثين، فقالوا له حدثنا بهما، فحدثهما بهما وضرب بسببهما
حتى مات على أثر الضرب رحمه الله رحمة الأبرار.
أما الحديث الأول فقد أورده أيضا الإمام مسلم في كتاب البر. قال مسلم
بسنده: (عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كنت ألعب مع الصبيان فجاء
رسول الله فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطأني حطأة (أي ضربني ضربة
خفيفة باليد المبسوطة بين الكتفين) وقال: اذهب وادع لي معاوية. قال فجئت
فقلت هو يأكل. قال ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. قال فجئت فقلت هو
يأكل فقال صلى الله عليه وسلم: لا أشبع الله بطنه) (١).
قال معاوية كما يذكره ابن كثير في التفسير: فوالله إني ما أشبع أبدا. ولكني أمل (٢).

____

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر، ج ١٦: ١٥٥.
(٢) قد وردت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن البطنة والسرف في الأكل. وكان معاوية أكولا بعد دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم. وقد صح عنه أنه قال: (المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) رواه
البخاري ومسلم: والمقصود أن الكافر يأكل أكلا كثيرا ولا يشبع والمؤمن على العكس من ذلك
وليس ذلك شرطا لكل مؤمن ولا لكل كافر. وهناك من المؤمنين والمسلمين من لا يشبع مثل
معاوية.

وأما الحديث الثاني فقد رواه أيضا الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، وأبو داود في سننه (كتاب الطلاق) والترمذي (كتاب النكاح) وموطأ مالك (كتاب الطلاق) وأحمد في مسنده ج ٦: ٤١٢.

وفي رواية مسلم عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن زوجها أبا عمرو بن حفص طلقها البتة فلما أتمت عدتها جاءت الرسول قالت: (فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه (قالوا كناية عن ضرب النساء أو عن كثرة السفر)، وأما معاوية فصعلوك لا مال له. أنكحي أسامة بن زيد، فكرهته (لأنه مولى أسود) ثم قال: انكحي أسامة فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به).

ولم يذكر الإمام مسلم في فضائل الصحابة شيئا عن فضائل معاوية. ولما حدث الامام النسائي بهذين الحديثين انهال عليه أهل الشام ضربا حتى خرج من الشام ومات رحمه الله رحمة الأبرار.

المهدي من ذرية فاطمة (رضي الله عنها)

كلام ابن تيمية في المهدي:

ثم ذكر الإمام ابن تيمية في رسالته: (فضل أهل البيت وحقوقهم تعليق أبي تراب الظاهري) (١) أن من فضائل أهل البيت خروج المهدي منهم في آخر الزمان. وهو الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. قال: (فأما المهدي الذي بشر به النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم، الحافظون لها، الباحثون عنها وعن رواتها، مثل أبي داود والترمذي وغيرهما، ورواه الإمام أحمد في مسنده.

(فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم

---

(١) ص ٤٦.

يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا) (١). وروي هذا المعنى من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) وغيرها.
وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (المهدي من ولد ابني هذا) وأشار إلى الحسن. وقال صلى الله عليه وسلم: (يكون من آخر الزمان خليفة يحثو المال حثوا) (٢) وهو حديث
صحيح).
أحاديث المهدي تبلغ حد التواتر
كلام ابن حجر وغيره من العلماء فيها:
أحاديث المهدي كثيرة تبلغ حد التواتر المعنوي، كما قال العلماء، وهو منصوص على اسمه وعلى أنه من ذرية فاطمة رضي الله عنها. وأغلب الروايات على أنه من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر): (أنه من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولا ينافيه حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: (والذي بعثني بالحق نبيا إن
منهما - يعني الحسن والحسين - مهدي هذه الأمة) الحديث، لإمكان حمله على أنه من مجموعهما أو أن أباه حسين وأمه حسينية، ولعل هذا أقرب) (٣) وأكثر أهل العلم من أهل السنة يقولون: أنه حسني الأب وللحسين فيه ولادة من جهة الام.
وللعباس فيه ولادة أيضا. لما ورد من رواية: (يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك موفقا راضيا مرضيا). أخرجه ابن عساكر. وقال ابن حجر الهيتمي (٤): (وهذه (الأحاديث) كلها تنافي ما تقرر أولا من أنه من ذريته صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة،
لأن أحاديثه أكثر وأصح، بل قال بعض الأئمة الحفاظ: إن كونه من ذريته صلى الله عليه وسلم قد

---

(١) أخرجه أبو داود. ومثله عن علي رضي الله عنه عنده وعند أحمد.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة والإمام أحمد في مسنده.
(٣) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي. تحقيق وتعليق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة ص ٢٧.
(٤) ابن حجر الهيتمي: (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) ص ٢٢، ٢٣.

تواتر عنه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بأنه لا مانع من أن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم، وللعباس فيه
ولادة، من جهة أمهاته (أو واحدة منهن) عباسية، والحاصل أن للحسن فيه الولادة العظمى، لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر، وللحسين فيه ولادة أيضا، وللعباس فيه ولادة أيضا، ولا مانع من اجتماع ولادات المتعددين في شخص واحد من جهات مختلفة).
ثم قال: (قال بعض الأئمة: (قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجئ المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه سيملك سبع سنين وأنه
يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى عليه الصلاة والسلام، فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه) (١).
وأحاديث المهدي موجودة في كتب الحديث المشهورة كلها إلا أنه لم يذكر اسمه في الصحيحين البخاري ومسلم. مع أنه قد ورد من صفاته: (يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثوا) وهو في صحيح مسلم. وفيه أن عيسى عليه السلام ينزل وقد أقيمت الصلاة فيرجع المهدي القهقرى فيقول له عيسى عليه السلام: (تقدم فصل فإنها لك أقيمت) فيصلي عيسى وراءه لكن دون ذكر المهدي.
ومن علاماته أنه يؤم البيت فيرسل له السفياني جيشا فيخسف بذلك الجيش في البيداء قرب مكة. وهو أيضا في مسلم في كتاب الفتن. والحديث روي عن زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة وعائشة وحفصة رضي الله عنهن. يرفعنه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من
الأرض خسف بهم).
وقد ذكر مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وكتاب الايمان أن عيسى ينزل والمسلمون قد صفوا للقتال وأقيمت الصلاة فيصلي عيسى خلف إمامهم الذي من

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣.
(٢) السفياني عدو الله يموت مرتدا ويحارب المهدي هو وأخواله من قبيلة كلب. والسفياني من نسل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهي عداوة قديمة: فابن حرب للمصطفى، وابن هند لعلي وللحسين يزيد.

أجله أقيمت. ويقال لعيسى عليه السلام: صل: قال لا: وإن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة) (١).

وأما كتب الحديث الأخرى فهي مليئة مشحونة بأحاديث المهدي حتى قال العلماء أنها بلغت مبلغ التواتر المعنوي. قال الامام الشوكاني في رسالته المسماة: (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) بعد أن سرد الأحاديث الكثيرة في المهدي: (وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر، كما لا يخفى على من له فضل اطلاع).

وقال الصبان في (إسعاف الراغبين) (وقد تواترت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلا) (٢).

وقال الشيخ عبد الحق في اللمعات (حاشية صحيح الترمذي): (وقد تظاهرت الأحاديث البالغة حد التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة) (٣).

وقال ابن حجر الهيتمي المكي في (الصواعق المحرقة): (والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة) (٤).

وقال ابن خلدون في المقدمة: (اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل، ويسمى بالمهدي) (٥).

وقال صاحب (غاية المأمور): (اشتهر بين العلماء سلفا وخلفا أنه في آخر الزمان لا بد من ظهور رجل من أهل البيت يسمى المهدي.. وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرجها أكابر المحدثين كأبي داود والترمذي وابن ماجة والطبراني وأبي يعلى والبزار والإمام أحمد والحاكم رضي الله عنهم

----

(١) انظر كتاب: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر المكي الهيتمي. ص ٣٤.
(٢) ج ٢: ١٤٠.
(٣) ج ٢: ٤٦.
(٤) ج ٢: ٢١١.
(٥) المقدمة ص ٣٦٧.

أجمعين. ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها. قال الحافظ (ابن حجر العسقلاني) في فتح الباري: تواترت الاخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى بن مريم سينزل ويصلي خلفه) (١).

الشيخ عبد المحسن العباد وأحاديث المهدي وموقف الشيخ عبد العزيز بن باز

وقد جمع الشيخ عبد المحسن العباد، الأستاذ بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة طائفة صالحة من أحاديث المهدي وألقى محاضرة قيمة ألقيت في الجامعة بعنوان (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) ونشرتها مجلة الجامعة الاسلامية في عدد شهر ذي القعدة ١٣٨٨ ه / ١٩٦٨ م. وقد جاء فيها أن أحاديث المهدي رواها ٢٦ صحابيا ممن سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث البشارة بالمهدي.. وأنها قد

ذكرت في ٣٨ مؤلفا وأن عشرة من العلماء وضعوا كتبا خاصة بالمهدي. وقد علق على المحاضرة القيمة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله فقال: (إن الحق والصواب هو ما أبداه فضيلته في هذه المحاضرة كما بينه أهل العلم، فأمر المهدي أمر معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة، وهي متواترة تواترا معنويا لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق).

ولم يكتف فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بذلك ولكنه كان في منتهى الشجاعة والأمانة عندما ظهرت فتنة جهيمان وتحدث أن صاحبه القحطاني هو المهدي (٢)، واقتتل الناس في الحرم، وبادر ذوو الأقلام الرخيصة وعلماء السوء المأجورين إلى نفي أحاديث المهدي والقول بأنها ضعيفة، ومكذوبة ومتروكة، قام فضيلة الشيخ عبد العزيز ونشر مقالا في صحيفة المدينة، وأثبت فيه أن أحاديث المهدي بلغت حد التواتر المعنوي وأن إنكارها فسوق. وأنها أحاديث صحت عن

---

(١) غاية المأمول: ج ٥: ٣٦٢.

(٢) جهيمان العتيبي مؤجج فتنة الحرم والقتال فيه. وقد ادعى كذبا وزورا وبهتانا أن صاحبه القحطاني هو المهدي، وأنى له ذلك.

النبي صلى الله عليه وسلم في مجموعها.. وكان بذلك متصديا للمنافقين المتزلفين من علماء السوء
الذين أرادوا بنفيهم أحاديث المهدي جملة وتفصيلا، ثمنا قليلا.
بعض المصنفات في المهدي:
ولا شك أن أحاديث المهدي قد لقيت الاهتمام الكبير من الأمة الاسلامية
سلفا وخلفا. وممن ألف في المهدي مصنفا خاصا الإمام ابن حجر المكي الهيتمي وكتابه (القول المختصر من علامات المهدي المنتظر) مطبوع (مكتبة القرآن، القاهرة، بتحقيق مصطفى عاشور). والامام الشوكاني في رسالته: (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) والامام السيوطي في كتابه (العرف الوردي في أخبار المهدي) وعلي بن حسام الدين الشهير بالمتقي في كتابه: (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) (لا يزال مخطوطا وعندي صورة منه). وجميع الكتب التي تحدثت عن أشراط الساعة وعلامات آخر الزمان أفردت للمهدي
فصولا فيها. وهي كتب كثيرة منها كتاب الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة للسيد محمد صديق القنوجي البخاري وكتاب الإشاعة للسيد البرزنجي، وكتاب المسيح الدجال وأسرار الساعة للسفاريني. ومن الكتب الحديثة كتاب (الممهدون للمهدي) لعلي الكوراني (مكتب الاعلام الاسلامي، بيروت ١٤٠٥ ﻫ) وفيه
دراسة عن العلامات التي تسبق ظهور المهدي ثم أحاديث المهدي وأوصافه. وأكثر الروايات على أن المهدي اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه يوافق اسم أبيه (أي
محمد بن عبد الله) وأنه أقنى الانف أزج أبلج على خده الأيمن خال، وقبل خروجه تكثر الفتن والدماء والهرج والمرج وتحدث الملحمة التي يقتل فيها من كل تسعة سبعة (وهذه قد وردت قصتها أيضا في التوراة والتلمود وتسمى حرب هرمجدن وفيها يهلك ثلثا سكان العالم ثم يظهر المسيح الدجال بعدها وتقوم دولة اليهود العالمية).. وتحدث مذبحة أخرى في منى في أيام التشريق.. ويفر المهدي من المدينة فيأتيه جيش السفياني (من نسل خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) الجبار المرتد هو وأخواله من كلب، فيخسف الله بذلك الجيش في البيداء. وتتم بيعة المهدي بين الركن والصفاة وتظهر علامات كونية في الشمس، وظهور مثل الكف في السماء، وظهور النجم المذنب من جهة المشرق، وحدوث ظلمة شديدة،

وحدوث خسوف وكسوف في شهر رمضان من السنة التي يخرج فيها. وحدوث الزلازل والفتن الشديدة.. وتأتيه أبدال الشام وعصائب مصر وتأتيه الرايات السود من خراسان لا يصدها شئ حتى ترد إيليا (بيت المقدس) يقودها صالح بن شعيب التميمي، مولاهم.

ويقتتل المسلمون والروم فينتصر المسلمون بعد معارك طاحنة ينهزم فيها الثلث (يفرون من المعركة) ويقتل الثلث (هم خير الشهداء) وينتصر الباقون فتفتح القسطنطينية (الفتح الثاني) وروما.. فإذا علقوا سيوفهم بالزيتون (أي على شجر الزيتون) صاح فيهم الشيطان أن الدجال قد خرج وخلفهم في ذراريهم فيرجعون إلى الشام، فيخرج الدجال ومعه سبعون ألفا من ذوي الطيالسة اليهود عليهم التيجان. وينزل عيسى بن مريم عليه السلام ويقتل الدجال في باب لد بفلسطين (وهي بالقرب من تل أبيب) ويقتل المسلمون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله تعال هذا يهودي ورائي فاقتله.

وتخرج الأرض بركتها وينعم الناس بالسلام والخيرات برهم وفاجرهم ويمكثون على ذلك ما شاء الله (سبع سنين إلى تسع سنين) ثم يموت المهدي ويستمر خلفاؤه في سياسته ثم تتغير الأمور وتعود إلى شر ما كانت عليه، وعليهم تقوم الساعة.

واجب من ينتسب إلى البيت النبوي الطاهر

ومن كانت ينتسب إلى هذا البيت الطاهر فعليه أن يعرف قدر هذا النسب الشريف وهو أولى الناس باتباع جده المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه وفاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة في الجنة.. فإذا كان كذلك كان جديرا بهذا الشرف، وإن كان لا يوقر هذا النسب ولا يقوم بما يجب عليه من أمور الدين بل تراه معرضا عنه متوليا الكفار متتبعا لسننهم فهو أولى بأبي لهب والعياذ بالله (١).

---

(١) لقد تحول بعض من ينتسبون إلى آل البيت إلى الشيوعية والبعثية وغيرها من المذاهب الكفرية. ومات بعضهم على ذلك مثل عبد الفتاح إسماعيل أمين عام الحزب الاشتراكي في اليمن الديمقراطي، فإن صح نسبه فهو والعياذ من قوم أبي لهب. ونسأل الله لمن بقي منهم على قيد الحياة المبادرة بالتوبة والإنابة والرجوع إلى حظيرة الاسلام والايمان.

ولا شك أن هذا النسب الشريف يحتاج إلى مزيد عمل وإلا فهو عليه وبال. قال تعالى: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما. يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا). (الأحزاب ٣٠ - ٣٢).

ومكانة آل البيت من الخصوصية مثل مكانة نساء النبي، فإن مسؤوليتهم عظيمة وواجباتهم كبيرة فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا.. وليقتدوا بسلفهم في العمل الصالح والتواضع الجم والاخبات والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى.. فإن لم يقتدوا بسلفهم فما أبعدهم عن الحق والنهج القويم.

وذكر الإمام ابن تيمية في رسالته فضل أهل البيت وحقوقهم بعد أن أورد الآيات في سورة الأحزاب المذكورة أعلاه ومعها آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال: (ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر، بلغنا عن الإمام علي بن الحسين، زين العابدين وقرة عين الاسلام أنه قال: (إني لأرجو أن يعطي الله للمحسن منا أجرين، وأخاف أن يجعل على المسيئ منا وزرين) (١).

ومن كان من آل البيت مقصرا فعليه المبادرة بالتشمير والعمل والاقتداء بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم وسلفه الصالح.. ومع هذا فينبغي توقيره مراعاة للنسب الشريف
والنصح له ومودته في الله.. ومن تجاوز عن حق من حقوقه لهم فله بذلك الأجر والمثوبة عند الله والرسول صلى الله عليه وسلم يكافئه يوم القيامة، وأما الحقوق إذا وصلت إلى
القضاء فلا يتهاون بها بل يقام العدل. وكذلك الحدود فلا تترك لشريف أو غيره.

---

(١) رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية، دار القبلة جدة ١٤٠٥ تعليق أبي تراب الظاهري ص ٢٣.

وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كلمه حبه وابن حبه أسامة بن زيد رضي الله
عنهما في شأن المخزومية التي سرقت وقال: إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) أو كما قال.

فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز:

انظر إلى ما ذكره سماحة الشيخ عبد العزيز وإنصافه وقوله الحق عندما سأله سائل عن آل البيت وهو يحرش بهم فقال السائل: (يوجد بعض الناس في العراق، يقال أنهم سادة، وأنهم من أحفاد النبي، صلى الله عليه وسلم، ولكن هؤلاء يعاملون
الناس معاملة تتنافى، حسب اعتقادي، ولكني لا أدري اعتقادي صحيح أم خطأ، وأهم من ذلك أنهم يأخذون من الناس نقودا مقابل كتابة ودعاء للمريض.. الخ ويأخذون من بعض الناس الذبائح والنقود، ويثيرون في النفوس الشكوك... الخ).

الجواب: يوجد هؤلاء الناس في أماكن كثيرة ويسمون بالاشراف كذلك، وهم فيما يذكر العارفون بهم أنهم ينتسبون إلى آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، بعضهم ينتسب إلى الحسن وبعضهم ينتسب إلى الحسين، ويسمى بعضهم سيدا أو شريفا. هذا أمر معلوم واقع في اليمن وفي غير اليمن. والواجب عليهم تقوى الله، وعليهم أن يحذروا ما حرم عليهم، وأن يكونوا من أبعد الناس عن كل شر. فهذا النسب الشريف يجب أن يحترم ولا يتكئ به صاحبه. لكن إذا أعطي ما فتح الله له من بيت المال أو من غير ذلك مما يحل له غير الزكاة، فلا بأس. أما أن يتكئ بذلك ويزعم أن هذا النسب يوجب على الناس أن يعطوه كذا أو يعطوه كذا، فهذا أمر لا يجوز، فإن نسب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأنساب، وبنو
هاشم أفضل العرب فلا يليق بهم أن يدنسوا نسبهم بما لا ينبغي من الأعمال والأقوال والصفات الذميمة. أما إكرامهم ومعرفة فضلهم وإنصافهم وإعطائهم حقوقهم، والعفو عن بعض الأشياء التي تقع منهم على بعض الناس، فالصفح عنهم والتساهل في بعض الأخطاء التي لا تمس الدين، أمر حسن. وقد جاء

الحديث: أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي) فالاحسان إليهم والصفح عن بعض زلاتهم التي تتعلق بالأمور الشخصية، وتقديرهم بما يتعلق بممارساتهم ومعرفة قدرهم في الوظيفة وعمل يقوم بحاجاتهم أو ما أشبه ذلك من إحسان وعناية بهم، وإيصال المعروف إليهم، فكل هذا طيب. وعليهم أن يتنزهوا عما حرم الله. نسأل الله لنا ولهم الهداية. والله أعلم) (١).

---

(١) صحيفة المدينة المنورة، الصفحة الدينية: فتاوى (نور على الدرب). (للأسف نص الفتوى الموجودة منتزع من صحيفة المدينة المنورة، دون ذكر التاريخ).

الباب الثاني
الإمام علي الرضا
حياته وعلمه وكراماته وفضله

الإمام علي الرضا
١٥٣ - ٢٠٣ ه
٧٧٠ - ٨١٨ م
نسبه ومولده
هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت خير البرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.
ولد الإمام علي الرضا في المدينة المنورة سنة ١٥٣ ه وقيل سنة ١٤٨ ه وبها نشأ وترعرع. أمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وقيل بل شقراء. وهي نوبية سوداء وقيل بل حبشية وكان لون الإمام علي الرضا آدم يضرب إلى السواد، وراثة من أمه.. وكان معتدل القامة بهي الطلعة ذو وقار يهابه من رآه ويحبه من عرفه. وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والعلم حتى اتفق على أنه كان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأزهدهم.
من شعر أبي نؤاس في الإمام الرضا
وقد قيل لأبي نواس ذات مرة: علام تركت مدح علي بن موسى والخصال التي تجمعن فيه، فقال: لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه. والله ما تركت ذلك إلا إعظاما له. وليس قدر مثلي أن يقول في مثله. ثم أنشد على الفور:
قيل لي أنت أحسن الناس طرا * في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح * يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمعن فيه

قلت: لا أستطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لأبيه (١)
ثم إن أبا نواس مدح الإمام علي الرضا بقصيدة. ذكر الإمام علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ (٢) أن أبا نواس تعرض لعلي الرضا عند خروجه من عند المأمون ودنا منه قائلا: يا ابن رسول الله! قلت فيك أبياتا أحب أن تسمعها مني فقال له: قل، فأنشد أبو نواس:

مطهرات نقيات ثيابهم * تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له في قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم * علم الكتاب وما جاءت به السور

فاستجادها الإمام علي الرضا منه وسر بما قال وأعطاه كل ما كان يملك وهو ثلاثمائة دينار ثم ساق إليه بغلته التي كان راكبا عليها.
ولأبي نواس قصائد أخرى في مدح الإمام علي الرضا منها قوله:

إذا أبصرك العين من بعد غاية * وعارض فيك الشك أثبتك القلب
ولو أن قوما أمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

من شعر دعبل الخزاعي:
ودخل دعبل الخزاعي المشهور بشاعر أهل البيت على الإمام علي الرضا بمرو (٣) وقال له: يا ابن رسول الله إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك وأحب أن تسمعها مني. فقال له الرضا: هات هات. فأنشد يقول (٤):

ذكرت محل الربع من عرفات * فأجريت دمع العين على الوجنات

---

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ / ٣٢١ - ٣٢٢.
(٢) ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص ٢٤٧.
(٣) مرو عاصمة إقليم خراسان وتدعى مرو الشاهجان وقد أخرجت مئات العلماء مثل عبد الله بن المبارك وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وبشر الحافي.. وهي الآن مهجورة مطمورة في ما يسمى جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي. (انظر أعلام مرو في كتابنا المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ج ٢ / ٥٦٣ - ٥٨٩).
(٤) انظر الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

وقد خانني صبري وهاجت صبابتي * رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبد الله والفضل صنوه * نجي رسول الله في الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها * من الله بالتسليم والرحمات
منازل وحي معدن الله علمه * سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التي حف أهلها * متى عهدهم بالصوم والصلوات
فأين الألى شطت بهم غربة النوى * فأمسين في الأقطار مختلفات
أحب قصي الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
وهم آل ميراث النبي إذا انتموا * فهم خير سادات وخير حماة
مطاعيهم في الاعسار في كل مشهد * لقد شرفوا بالفضل والبركات
أئمة عدل يقتدى بفعالهم * ويؤمن فيهم زلة العثرات
فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة * وزد حبهم يا رب في حسناتي
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها * وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفا عن الأوتار منقضبات
وآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد غلظوا الفقرات
سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق * ونادى منادي الخير بالصلوات

والقصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وعشرون بيتا.. ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض الإمام الرضا وأعطاه مائة دينار هي كل ما كان يملك في ذلك الوقت، فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه، والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون. وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئا من ثيابه للتبرك فهو أحب إلي. فأعطاه الرضا جبة خز ورد عليه الصرة وقال للغلام: قل له خذها

ولا تردها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها. فأخذها دعبل، ثم أقام مدة بمرو ثم سافر يريد العراق فخرج عليهم اللصوص ونهبوا القافلة عن آخرها ومن جملتهم دعبل ثم جلسوا يقتسمون أموالهم فتمثل مقدم اللصوص بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه. فقال له دعبل: أتعرف هذا البيت. قال كبير اللصوص: كيف لا أعرفه وهو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت. فقال دعبل: أنا والله صاحب القصيدة وقائلها فيهم.. فسأل كبير اللصوص القافلة عنه فأخبروه الحقيقة وطلب من دعبل أن يلقي القصيدة فألقاها من أولها لآخرها مائة وعشرين بيتا. فقال كبير اللصوص: (قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذنا منها إكراما لك يا شاعر آل البيت).

قصة المأمون مع الإمام علي الرضا

لقد كان الخليفة عبد الله المأمون العباسي عالما ورعا محبا للعلويين وقد تشرب حبهم من أمه الفارسية.. وكان المأمون يقول: (إني عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع (يعني أخاه الأمين) أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب. وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل (يعني علي الرضا) على وجه الأرض).

وأراد المأمون أن يخلع نفسه ويولي الرضا بدلا منه ولكن الرضا أبى ذلك عليه. ثم عزم على الرضا أن يكون خليفته ووليا للعهد فرفض ولكن المأمون أصر على ذلك حتى قبل الرضا.

ولما عزم المأمون على تولية العهد للإمام علي الرضا أحضر وزيره الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره المأمون بمشاورة الحسن بن سهل.. فلما اجتمعا عند المأمون أخذ الحسن يعظم ذلك ويعرفه ما في إخراج الامر عن العباسيين، والفتن التي يمكن أن تقوم. ولكن المأمون كان قد عقد العزم على ذلك. ورأى أنه لا يبرأ عند الله إلا بذلك. فوافقاه على ذلك وأمرهما بالذهاب إلى علي الرضا فلما بلغه ذلك امتنع فلم يزالا به حتى قبل بشروط وجلس المأمون وأحضر خواص الدولة وأهل الحل والعقد وأخبرهم بولاية العهد ولبس الخضرة بدلا من السواد.

وأمر المأمون ابنه العباس أن يتقدم الناس ويبايع الرضا فبايع.. وأعطى المأمون الجنود والامراء أعطيات جزيلة.. وتكلم الرضا بخطبة موجزة وقال: (يا أيها الناس إن لنا عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكم علينا حق به. فإذا أديتم إلينا ذلك. وجب لكم علينا الحكم. والسلام).. وخطب للرضا بولاية العهد في كل البلدان.

وذكر المديني أن الرضا لما جلس ذلك المجلس نظر إلى بعض مواليه وخواصه وقال له في أذنه سرا: (لا تشغل قلبك بشئ مما ترى من هذا الامر ولا تستبشر فإنه لا يتم).

وقد ذكر الطبري (١) أن عليا الرضا لما قدم مرو أحسن المأمون وفادته. وجمع رجال دولته وأخبرهم أنه قلب نظره في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد أحدا أفضل ولا أورع ولا أعلم منه. فولاه عهده ولقبه الرضا من آل محمد، وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك لليلتين خلتا من رمضان سنة ٢٠١ ه.

فأحفظ ذلك بني العباس ولا سيما منصور وإبراهيم ابني المهدي. وامتنع أهل بغداد عن البيعة للرضا. ثم خاض الناس في خلع المأمون وأخذ البيعة لإبراهيم بن المهدي وسار المأمون بجيشه من مرو إلى بغداد وأخضع الناكثين، وعفا عن عمه وقرابته.

كتاب العهد الذي كتبه المأمون لعلي الرضا (٢)

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب كتبه ابن هارون الرشيد لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده: أما بعد. فإن الله عز وجل اصطفى الاسلام دينا واختاره له من عباده رسلا دالين عليه وهادين إليه، يبشر أولهم آخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم على

---

(١) ابن جرير الطبري: أخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ج ١٠ / ٤٣.

(٢) ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة. الناشر دار الكتب التجارية، النجف، العراق ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

فترة من الرسل ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين وجعله شاهدا عليهم ومهيمنا. وأنزل عليه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نزل من حكيم حميد. فلما انفضت النبوة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وآله بالرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المرسلين في الخلافة ونظامها والقيام بشرايعها وأحكامها.

(ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت إليه الخلافة وحمل مشاقها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مسهد العينين، مضينا لبدنه، مطيلا لفكره، فيما فه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة. ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحا له في دينه وعباده. ومختارا لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام بأمر الله تعالى وحقه مناجيا لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسئلته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملا فكره ونظره فيما فيه طلبه والتماسه من أهل بيته من ولد عبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب، مقتصرا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة ممن خفي عليه أمره جهده وطاقته، رضاه وطاعته حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة، وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى، واجتهاده في نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعا، علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارع، وعلمه الذايع، وورعه الظاهر الشايع، وزهده الخالص النافع، وتخليته من الدنيا، وتفرده عن الناس، وقد استبان له ما لم تزل الاخبار عليه مطبقة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، والاخبار واسعة، ولما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعا وناشئا، وحدثا وكهلا، فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده، واثقا بخيرة الله تعالى في ذلك، إذا علم الله تعالى أنه فعله إيثارا له وللدين. ونظرا للاسلام، وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين. ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه، فبايعه الكل مطيعين ومسارعين مسرورين

عالمين بإيثار المؤمنين طاعته على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحما وأقرب قرابة وسماه الرضا إذ كان رضيا عند الله تعالى وعند الناس. وقد آثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين. والحمد لله رب العالمين. كتب بيده من يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين).

التعليق على كتاب المأمون،

ورد قول الدكتور حسن إبراهيم حسن وبروكلمان:

ولله در المأمون إذ فضل الإمام علي الرضا على بنيه وآل بيته أجمعين مبتغيا في ذلك رضا الله تعالى. وقد أخطأ الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الاسلام (١) عندما اتهم المأمون بأنه إنما فعل ذلك سياسة ليسترضي الخراسانيين. والواقع أن المأمون بفعله هذا أثار البيت العباسي وكادت الخلافة تخرج من يده عندما ولى بنو العباس عمه إبراهيم بن المهدي الخلافة، وقد نقم عليه بنو العباس ذلك الفعل ونصحه وزيره الحسن بن سهل إلا يقدم على هذا العمل الذي فيه إغضاب البيت العباسي بأكمله مع أنصارهم وهم كثر.

ولكن المأمون آثر الله والدار الآخرة ونصح للأمة جهده فولى علي الرضا العهد من بعده، بل أراد أن يتنازل له عن الخلافة ولكن الرضا أبى ذلك..

فالاتهام بأن المأمون إنما فعل ذلك ليسترضي الخراسانيين لا أساس له من الصحة.. وقد كان الخراسانيون يوالون المأمون ويحبونه حبا جما. ولم يكن محتاجا لهذه الحركة السياسية التي كادت أن تنزع الحكم والخلافة من بين يديه.

ثم إن اتهام المأمون بأنه هو الذي دبر اغتيال الإمام علي الرضا بالسم، وكذلك اغتيال وزيره الفضل بن سهل، اتهام باطل لا دليل عليه. ولست أدري لماذا أصر الدكتور حسن إبراهيم حسن على هذه الاتهامات الباطلة التي نقلها عن المستشرقين من أمثال بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية، كما نقلها عن بعض كتاب الشيعة.

والأدهى من ذلك أن الدكتور حسن إبراهيم حسن نقل آراء بروكلمان وغيره

---

(١) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ٢ / ١٨٤ - ١٨٦.

من المستشرقين دون ترو ولم ينسبها لهم بل نسبها لنفسه، ومن ذلك تعليله لحب المأمون لآل علي وتوليته علي الرضا ولبسه الخضرة شعار العلويين وضرب الدراهم والدنانير باسم الرضا وتزويجه لابنته.

يقول الدكتور حسن إبراهيم: (وليس من عجب في ذلك. فقد كان المأمون نفسه متأثرا بالعقائد الفارسية لأن أمه كانت خراسانية).

وما دخل العقائد الفارسية المجوسية في هذا كله. إنه الحقد الصليبي الذي جعل بروكلمان وأضرابه يقولون هذا الكلام ثم يأتي أساتذة علم التاريخ من المسلمين من تلامذتهم، فينقلون كلامهم حرفيا دون وعي ولا إدراك.

وكثيرا ما وجدنا كلام بروكلمان أو جب أو بارتولد أو فامبري وتعليلاتهم الفاسدة والجاهلة والحاقدة ينقلها للأسف الشديد أساتذة التاريخ في جامعات العالم العربي والاسلامي نقل مسطرة دون وعي ولا تروي.

وهذه الآراء متناقضة تمام التناقض فتارة يدعي أن المأمون أحب آل علي نتيجة تأثره بالعقائد الفارسية المجوسية!!!! لأن أمه كانت فارسية!!؟ وتارة يقول أنه لم يكن يحب الرضا ولا آل علي وإنما فعل ذلك سياسة ليسترضي الخراسانيين.. وفي نفس الوقت يعترف أن وزراء المأمون عارضوا هذه البيعة وأن البيت العباسي بأكمله ثار ضد هذه البيعة، وكادت الخلافة تفلت من يد المأمون بسبب هذه البيعة.. ثم يزعم بعد ذلك أن المأمون هو الذي أمر بوضع السم لعلي الرضا في قطف من العنب وهو الذي سم الفضل بن سهل وزيره الأول.. وكل ذلك ليتخلص من علي الرضا وأنصاره!!.

ولم يكن المأمون بحاجة إلى هذا كله فقد كان يكفيه أن يولي ابنه العباس أو أخاه المعتصم ولاية العهد فيستقر له الامر كما أحب.. وعلي الرضا لا قوة له ولا شوكة.. وإن تحرك فعل به كما فعل بآبائه من قبل.. مع أن التاريخ يشهد أن الإمام علي الرضا كان زاهدا في الخلافة كل الزهد وأنه رفضها عندما عرضها عليه المأمون ولم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد منه.

ما كتبه الإمام علي الرضا بخطه على عهد المأمون (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور. وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين.

(أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر أن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاما قطعت، وأمن نفوسا فزعت، بل أحياها بعد أن أمن الحياة أنسيت، فأغناها بعد فقرها، وعرفها بعد نكرها، مبتغيا بذلك رضا رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين.

وإنه جعل إلي عهده والامرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله نشافها فقد أباح الله حريمه وأحل محرمه، إذ كان بذلك زاريا على الامام، منتهكا حرمة الاسلام. وخوفا من شتات الدين، واضطراب أمر المسلمين. وحذر فرصة تنتهز، وناعقة تبتدر، جعلت لله على نفسي عهدا إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة، أن أعمل فيهم بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أسفك دما حراما، ولا أبيح فرجا ولا مالا إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهدا مؤكدا يسألني الله عنه، فإنه عز وجل يقول: (وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا). وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقا، وللنكال متعرضا وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين... وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين. لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه. والله تعالى يعصمني وإياه، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيدا. وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، والحاضرين من

---

(١) ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص ٢٥٨ - ٢٦٠.

أولياء نعمه، وخواص دولته، وهم الفضل بن سهل وسهل بن الفضل، والقاضي يحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر وثمامة بن الأشرس وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان. وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

وعلى النص شهادة القاضي يحيى بن أكثم وفيه: (شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا الكتاب ظاهره (كتبه المأمون) وباطنه (كتبه علي الرضا) وهو يسأل الله تعالى أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق. وكتب بخطه في التاريخ المبين فيه) وشهد كذلك على النص عبد الله بن طاهر وحماد بن النعمان وبشر بن المعتمر والفضل على رؤوس الاشهاد وبمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وساير الأولياء والأخيار بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين (المأمون) من العهد لعلي بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين، وتبطل الشبهة التي كانت اعترضته لآراء الجاهلين. وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه. وكتب الفضل بن سهل بحضرة أمير المؤمنين في تاريخ المعين فيه.

وقد اتفقت المصادر على أن البيعة تمت في شهر رمضان سنة ٢٠١ ه،

وهناك بعد ذلك اختلاف طفيف هل هي في خمسة أو ثلاثة أو سبعة من شهر رمضان.. وكذلك تتفق المصادر جميعا على أن المأمون زوج ابنته للإمام علي الرضا في نفس السنة.. ثم ذهب بها الإمام علي الرضا إلى المدينة فكتبت إلى أبيها المأمون تشتكي الرضا من ذهابه إلى بعض سراريه كما تشتكي إليه خشونة العيش معه فكتب لها المأمون يأمرها بطاعته وخدمته.. وهذا دليل آخر على حب المأمون للإمام علي الرضا.

صلاته بالناس يوم العيد

وقد ذكرت المصادر التاريخية (١) أن المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج، أحدث عنده ثقلا له عن الخروج للناس بالصلاة. فقال لأبي الحسن الرضا: قم يا

---

(١) ابن الصباغ: الفصول المهمة: ٢٦٠ - ٢٦١ والنسيبي: مطالب الرسول ١٢٤ ود. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام ج ٢ / ١٨٧.

أبا الحسن اركب وصل بالناس العيد. فامتنع الرضا وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط فأعفني من الصلاة (بالناس). فقال المأمون إنما أريد أن أنوه بذكرك ليشهر أمرك بأنك ولي عهدي، والخليفة من بعدي، وألح عليه في ذلك. فقال له الرضا: إن أعفيتني من ذلك كان أحب إلي. فإن أبيت إلا أن أخرج إلى الصلاة بالناس، فإنما أخرج كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج للصلاة على الصفة التي كان يخرج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المأمون: افعل كيف ما
أردت. وأمر المأمون القواد والجنود أعيان دولته بالركوب في خدمته.
فلما خرج الإمام الرضا من بيته وقد لبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة قطن ألقى طرفا منها على عاتقه وأخذ عكازا في يده وخرج ماشيا ولم يركب. وسار بمواليه مكبرا مهللا فنزل الجند والقواد وأعيان الدولة عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه مهللين مكبرين.. وكان كلما كبر الرضا كبر الناس حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير وتزلزلت مرو وارتفع البكاء والضجيج.. وأسرع الفضل بن سهل إلى المأمون وقال له: (يا أمير المؤمنين تدارك الناس، واخرج وصل بهم، وإلا خرجت منك الخلافة الآن..) فبعث المأمون إلى الرضا رسولا يقول له: (قد كلفناك يا أبا الحسن. ولا نحب أن يلحقك مشقة.. ارجع إلى بيتك).. وخرج المأمون مسرعا وراءه وصلى بالناس.
من كلامه ومروياته وصفاته
قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول: ما سئل الرضا عن شئ إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شئ فيجيبه الجواب الشافي. وكان قليل النوم، كثير الصوم، كثير المعروف والصدقة سرا وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح.
سأله رجل ذات يوم: أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: هو أعدل من ذلك. قال: فيقدرون على فعل كل ما يريدون. قال: هم أعجز من ذلك.
وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون قائلا: (يا أبا الحسن: الخلق مجبرون؟ قال: إن الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب. قال: فمطلقون؟ قال: الله تعالى أحكم من أن يمهل عبده ويكله إلى نفسه).

وقد روى الإمام علي الرضا كثيرا من الأحاديث عن أبيه عن جده يرفعها إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم أشهرها حديث: لا إله إلا الله حصني. ومن دخل حصني أمن
عذابي.
ولهذا الحديث قصة نوردها كما أوردها أهل التاريخ (١ - ٣). وهو أن الإمام علي الرضا دخل نيسابور في السنة التي توفي فيها بعد أن تمت له البيعة بولاية العهد بسنتين. وكان يسير على بغلة في قبة مستورة فتعرض له الحافظان الجليلان أبو زرعة الرازي (٤) ومحمد بن أسلم الطوسي (٥) ومعهما خلائق لا يحصون من

---

(١) الامام الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك في كتابه تاريخ نيسابور.
(٢) ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة.
(٣) إبراهيم الجويني: فرائد السمطين.
(٤) أبو زرعة الرازي: عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ بن داود مولى عياش بن مطرف المخزومي القرشي. وكنيته أبو زرعة يشترك فيها معه ما ينيف على الخمسين علما ممن سبقه أو عاصره أو أتى بعده كما يقول الدكتور سعدي الهاشمي في تحقيقه لكتاب الضعفاء لأبي زرعة.
اختلف في سنة مولده على أقوال منها سنة ١٩٠ ه و ٢٠٠ وقال الحاكم النيسابوري ولد سنة ١٩٤ ه. وقد ذكر الامام الحاكم صاحب المستدرك في تاريخ نيسابور أن أبا زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي تعرضا للإمام علي الرضا عندما زار نيسابور في السنة التي نال فيها الشهادة (أي سنة ٢٠٣ ه) في شهر صفر. وأن أبا زرعة آنذاك كان طفلا نابها في التاسعة من عمره. وأنهما طلبا من الإمام علي الرضا أن يروي لهما حديثا بسنده عن آبائه فذكر القصة.
ولعل أبا زرعة ولد سنة ١٩٠ ه فيكون عمره آنذاك ثلاثة عشر عاما. وقد اشتهر أبو زرعة بعلم الحديث شهرة فائقة وأخذ العلم عن طائفة من العلماء وهو صغير السن. والقصة المذكورة آنفا تؤكد ذلك. وقد أخذ العلم عن شيوخ بلده ثم رحل إلى مختلف البلاد في طلبه ومن أشهر شيوخه الإمام أحمد بن حنبل وابن أبي شيبة وفي علم القراءات قالون المقرئ (عيسى بن ميناء) وحفص الدوري وخلف البزار. وكان أبو زرعة يقول: (أنا أحفظ ستمائة ألف حديث صحيح وأربعة عشر ألف إسناد في التفسير والقراءات، وعشرة آلاف حديث مزورة. قيل له: ما بال المزورة تحفظ؟ قال: إذا مر بي منها حديث عرفته). وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٦٤ ه.
ومن كتبه كتاب (أعلام النبوة) وكتاب (الفضائل) وكتاب (الفرائد) وكتاب (السير) وكتاب (المختصر) وكتاب (الزهد) و (الأطعمة) و (الفرائض) و (الصوم) (الآداب) و (الوضوء) و (الضعفاء) و (الجرح والتعديل) و (العلل) و (التفسير) و (الصحابة) و (المسند).
(٥) محمد بن أسلم بن سالم الطوسي، أبو الحسن، وفاته سنة ٢٤٢ ه وثقه أئمة الجرح والتعديل وقال عنه ابن خزيمة: (رباني هذه الأمة).

طلبة العلم وأهل الحديث. فقالا له: أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة. بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ورويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نذكرك به.

فاستوقف البغلة وكشف الستر وقال: (حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي). ثم أرخى الستر وسار. وعدوا في ذلك اليوم أهل المحابر الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا. وقال أبو القاسم القشيري: اتصل هذا السند ببعض الامراء السامانية (وهم حكام بخارى وما وراء النهر في زمن المأمون ومن بعده) فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره. فرؤي بالنوم بعد موته، فقيل له ما فعل الله بك. قال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بأن محمدا رسول الله.. وقد روي هذا الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متقاربة منها قوله تبارك اسمه: (إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي).

وقد روى الإمام علي الرضا أحاديث كثيرة عن أبيه عن جده يرفعها إلى
النبي صلى الله عليه وسلم، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من لم يؤمن بحوضي فلا أورده
الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل).

* (ما كان ولا يكون إلى يوم القيامة من مؤمن إلا وله جار يؤذيه).

*

(الشيب في مقدم الرأس عز، وفي العارضين سخاء وفي الذوائب
شجاعة وفي القفا شؤم).

* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أسري بي إلى السماء رأيت رحما معلقة بالعرش
تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها. قلت كم بينك وبينها من أب؟ قالت: نلتقي من أربعين أبا.

* وقال علي الرضا: من صام من شعبان يوما واحدا ابتغاء ثواب الله إلا دخل الجنة، ومن استغفر الله تعالى في كل يوم سبعين مرة حشره الله يوم القيامة في زمرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجبت له من الله الكرامة. ومن تصدق في شعبان بصدقة ولو
بشق تمرة حرم الله جسده على النار).
وذكر الجويني (١) أن عليا الرضا قال: لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه.
فأما السنة من ربه فكتمان سره. قال الله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) (الجن ٢٦ - ٢٧).
وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فإن الله عز وجل أمر نبيه بمداراة الناس فقال: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (الأعراف ١٩٩).
وأما السنة من وليه فالصبر على البأساء والضراء. قال الله تعالى: (والصابرين في البأساء والضراء) (البقرة ١٧٧).
وعنه أنه قال: إن الله عز وجل أمر بثلاثة، مقرون بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلى ولم يزك لم تقبل منه صلاته. وأمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله عز وجل. وأمر باتقاء الله عز وجل وصلة الرحم، فمن لم يصل رحمه لم يتق الله تعالى.
وعنه قال: الصلاة قربان كل تقي.
وقال: صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله.
وعنه قال: السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه.
وقال: أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه وتعالى وهو ساجد، وذلك قوله عز اسمه (واسجد واقترب).
وقال: إذا نام العبد وهو ساجد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة: انظروا إلى عبدي قبضت روحه وهو في طاعتي.

---

(١) إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني المتوفى سنة ٧٣٠ ه: فرائد السمطين ج ٢ / ٢٢١ - ٢٢٥.

وكان الرضا كثيرا ما يردد.
إذا كنت في خير فلا تغترر به * ولكن قل: اللهم سلم وتمم
وكان يقول:
اعذر أخاك على ذنوبه * واستر وغض على عيوبه
واصبر على ثلب السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا * وكل الظلوم إلى حسيبه
* ويروى أنه قال: من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله تعالى وجبت له الجنة، ومن صام في يوم من وسطه شفع في مثل ربيعة ومضر. ومن صام في يوم من آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفعه في أبيه وأمه وإخوته وأخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه.
* وعنه قال: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن: يوم يولد المولود ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا. ويم يموت فيعاين الآخرة وأهلها. ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا. وقد سلم الله على يحيى في هذه المواطن وأمن روعته فقال: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا). وقد سلم عيسى ابن مريم على نفسه في هذه المواطن أيضا وقال: (وسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا).
* وعنه قال: أن موسى بن عمران لما ناجى ربه قال: يا رب أبعيد أنت مني فأناديك أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله تعالى إليه: (يا موسى أنا جليس من ذكرني). قال موسى: يا رب إني أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها. فقال: يا موسى اذكرني على كل حال.
* وعنه قال: من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر (١).

---

(١) انظر كتاب فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين لإبراهيم بن محمد الجويني الخراساني المتوفى سنة ٧٣٠ ه بتحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠ ه / ١٩٨٠ ص ٢٠٠ وهذا القول مناقض لقول المعتزلة. ومن المعلوم أن عقائد الشيعة الإمامية في الصفات هي عقائد المعتزلة وهذا الكلام عن الإمام الرضا موافق لما يقوله أهل السنة.

موقفه مع بعض الصوفية

لما دخل الإمام علي الرضا إلى نيسابور جاءه جماعة من الصوفية فقالوا له: إن أمير المؤمنين (المأمون) لما نظر فيما ولاه من الأمور فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس. ثم نظر في أهل البيت فرآك أولى بالناس من كل واحد، فرد هذا الامر إليك. والإمامة تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز؟ وكان الإمام الرضا متكئا فاستوى جالسا ثم قال: كان يوسف بن يعقوب نبيا فلبس أقبية الديباج المزورة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب وجلس على متكآت آل فرعون وحكم وأمر ونهى. وإنما يراد من الامام قسط وعدل. إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز. إن الله لم يحرم ملبوسا ولا مطعما وتلا قوله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق).

وبينما كان علي الرضا في الطواف سأله رجل عن الجواد فقال الرضا: (إن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه. والبخيل من بخل بما افترض الله عليه. وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع)... وكان علي الرضا يدعو بهذا الدعاء:

(اللهم سترت علي ما أعلم فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني حلمك فليسعني عفوك، وكما ابتدأتني بالاحسان فأتم نعمتك بالغفران، وكما أكرمتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك، وكما عرفتني وحدانيتك فألزمني طاعتك. وكما عصمتني مما لم أكن أعتصم منه إلا بعصمتك، فاغفر لي ما لو شئت عصمتني منه، يا جواد يا كريم، يا ذا الجلال والاكرام).

من كراماته:

ذكر العلامة علي بن محمد بن أحمد المالكي المعروف باسم ابن الصباغ في كتابه (الفصول المهمة) عددا من كراماته دون أن يفردها بعنوان أثناء ذكر سيرته.

ومن ذلك أن الرضا قال: (واعجبا من هذا. أنا وهارون (الرشيد وكان هارون يضيق عليه) كهاتين، وضم إصبعيه السبابة والوسطى.. فقال مسافر، راوي القصة، فوالله ما عرفت حديثه من هارون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانب هارون الرشيد في مدينة طوس) التي تعرف الآن باسم مدينة مشهد (أي مشهد الرضا) وهي في غرب إيران.

وروى ابن الصباغ عن موسى بن عمران أنه قال: (رأيت علي بن موسى الرضا في المدينة (المنورة) وهارون الرشيد يخطب، قال: أتروني وإياه ندفن في بيت واحد!!؟.

وعن حمزة بن جعفر الأرجائي، قال: خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج علي بن موسى الرضا من باب فقال الرضا: يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس... يا طوس.. يا طوس ستجمعيني وإياه.

وروى بكر بن صالح قال: أتيت الرضا وقلت له إن امرأتي حامل فادع الله أن يجعله ذكرا، فقال: هما اثنان فقلت أسمي واحدا محمدا والآخر عليا، فدعاني وردني وقال: سم واحدا عليا والأخرى أم عمرو. فقدمت الكوفة فولدت لي غلاما وجارية فسميت الذكر عليا والأنثى أم عمرو كما أمرني.. وقلت لأمي: ما معنى أم عمرو؟ قالت: جدتك كانت تسمى أم عمرو (١).

---

(١) قد يعترض معترض فيقول إن هذا من علم الغيب الذي اختص الله بعلمه. قال تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا. وما تدري نفس بأي أرض تموت. إن الله عليم خبير) (سورة لقمان ٣٤). وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله. لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة).

وقد أجاب عن ذلك ابن كثير في تفسيره هذه الآية (ج ٣ / ٤٥٣) فقال: (هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى. فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب (لا يجليها لوقتها إلا هو)، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه. وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، شقيا أو سعيدا، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه).

وأجاب عن ذلك ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٨ / ٥١٤ حيث قال: (وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال أنه ينبئهم بالطعام قبل أن يأتي إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى: (إلا من ارتضى من رسول) فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب. والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذ وبه يكرم. والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها والولي لا يطلع عليه إلا بمنام أو إلهام).

وبمثل هذا القول أجاب الإمام الشافعي من قبل وقال: (إن النبي ويتبعه في ذلك الولي لا يعلم الغيب استقلالا بل يعلمه الله ذلك).

ويستطيع الأطباء في معظم الأحيان تحديد جنس الجنين ذكر أم أنثى، واحد أم توأم إلى غير ذلك بعلم علمهم الله إياه وبفحوص يجرونها مثل فحص الموجات فوق الصوتية وأخذ عينة من السائل المحيط بالجنين (السائل الامنيوسي) وأخذ عينة (خزعة) من المشيمة. وبها يمكن معرفة كثير من الأمراض التي قد تصيب الجنين وراثيا أو نتيجة عدوى أو إصابة.

ومعرفة الأطباء ليست خرقا للغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله لأن الله سبحانه وتعالى علمهم ذلك بعلم أتاحه الله لهم في هذا القرن.. وليس بمستغرب إذا على من كان في منزلة الإمام علي الرضا أن يعلمه الله جنس الجنين وكونه توأما عندما سأله بكر بن صالح عن ذلك.. ولا بمستغرب كذلك أن يعلمه الله أنه يدفن هو وهارون الرشيد في موضع. فهو من الغيب الذي يطلع من يشاء من عباده على أجزاء يسيرة منه.

وروى الحاكم النيسابوري الحافظ بإسناده أن أبا حبيب قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام وكأنه قد وافى المسجد الذي ينزل الحجاج من بلدنا في كل سنة. وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحاني. وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانية عشرة تمرة. فتأولت أني أعيش بعدد كل تمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوما أخبرت بقدوم أبي الحسن الرضا إلى المدينة فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه. وتحته حصير مثل الحصير الذي رأيتها تحته. وبين يديه طبق من خوص وفيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فرد السلام، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فعددتها فإذا هي ثماني عشرة حبة كما ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت زدني فقال: لو زادك لزدناك.

وروى الحاكم النيسابوري بسنده أن الإمام علي الرضا نظر إلى رجل فقال له: يا عبد الله أوصي بما تريد، واستعد لما لا بد منه، فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام.

وعن الحسين بن موسى قال: كنا حول أبي الحسن الإمام علي الرضا ونحن شباب من بني هاشم إذ مر علينا جعفر بن علي العلوي وهو رث الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض مستزرين لهيئته. فقال الرضا: سترونه عما قريب كثير المال، كثير الخدم، حسن الهيئة. فما مضى إلا شهر واحد حتى ولي أمرة المدينة وحسنت حاله. وكان يمر علينا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه.

وعن الحسين بن يسار قال: إن الرضا ذكر أن عبد الله المأمون يقتل محمدا الأمين وذلك قبل وفاة هارون الرشيد. فكان كما قال.

ومر يحيى بن خالد البرمكي في منى وهو مغطى وجهه من الغبار فقال أبو الحسن الرضا عندما رآه: (مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة. فكان من أمرهم ما كان).

وقد سبق أن ذكرنا قصة الشاعر دعبل الخزاعي الذي مدح الرضا بقصيدة فأعطاه الرضا مائة دينار فأراد أن يردها لأنه لم يمدح الرضا إلا قربى ومحبة لآل رسول الله. وقد أخبره الرضا أنه سيصرفها أحوج ما يكون إليها. فكان كما كان عندما هاجمهم اللصوص ثم عفوا عنهم وردوا مالهم بسبب القصيدة إياها كما تقدم. كما ذكرنا أن الرضا أثناء احتفال ولاية العهد أسر إلى أحد خاصته أن هذا الامر لا يتم. فكان كما قال.

وأخبر الرضا هرثمة بن أعين وكان من خدام المأمون وخاصته بسر وطلب منه أن لا يحدث به إلا عند وفاته. قال له: يا هرثمة أنه قد دنا رحيلي ولحوقي بجدي وآبائي. وقد بلغ الكتاب أجله وإني أطعم عنبا ورمانا مفتونا فأموت. ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه الرشيد. ولكن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول.. يا هرثمة إنما مدفني في الجهة الفلانية، وعين له المكان. فإذا أنا مت فاعلمه (أي المأمون) بجميع ما قلته لك. وقل له إن أرادوا الصلاة

علي فلا يصلوا علي وليتأنى بي قليلا فإنه يأتيكم رجل عربي ملثم على ناقة من جهة الصحراء فينيخ راحلته وينزل عنها فيصلي علي. وصلوا معه، فإذا فرغتم من الصلاة علي وحملتموني إلى مدفني الذي عينته لك فاحفر شيئا يسيرا من وجه الأرض تجد قبرا مطبقا معمورا في قعره ماء أبيض، إذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء فهذا مدفني فادفنوني فيه).

فلما مات الرضا أخبر هرثمة المأمون.. والمأمون متعجب من ذلك متحير فلما خرجوا به للصلاة انتظروا قليلا فجاء الرجل الملثم على ناقته كما وصف الرضا فصلى عليه ثم اختفى.. وحفر المأمون خلف الرشيد فأبت المعاول أن تفعل فيها شيئا لصلابة الأرض. وعين هرثمة الموضع الذي وصفه له الرضا فوجدوه كما وصف فدفنوه فيه.

وكانت وفاة علي الرضا في طوس بخراسان (تدعى الآن مشهد في إيران) في قرية تابعة لها يقال لها استياء (١) وذلك في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين. وله من العمر خمس وخمسون سنة. وأغلب الظن أنه مات مسموما بقطف من عنب وضعت فيه الأبر المكسوة بالمادة السامة ثم نزعت منها الأبر. وقدم ذلك للرضا فمات بعدها. ولكن لا يعلم على وجه اليقين من سمه..

ولا شك أن بني العباس تخلصوا بوفاته من منافس خطير كاد أن يخرج الخلافة منهم إلى الأبد.

وكما تم لبني مروان التخلص من عمر بن عبد العزيز عندما طلب من الخوارج أن يمهلوه ثلاثة أيام ليجد حلا لموضوع ولاية العهد. فلما علم بذلك بنو مروان أجهزوا عليه وسموه. ولم يكمل الأيام الثلاثة.

وكذلك تم لبني العباس التخلص من علي الرضا الذي ولاه المأمون ولاية

---

(١) هكذا ذكرها ابن الصباغ في الفصول المهمة وذكرها إبراهيم بن محمد الجويني في كتابه فرائد السمطين باسم سنأباد. وذكر أن وفاته كانت في شهر رمضان ١٥٣ ه (ص ١٨٨) وهو خطأ لأن الذين ترجموا للإمام الرضا ذكروا وفاته سنة ٢٠٣ ه.

العهد وضرب اسمه على الدرهم والدينار وخطب باسمه على المنابر ولبس من أجله الخضرة بدلا من السواد.
ولكن من العسير جدا أن نقبل اتهام المأمون بأنه المدبر لمقتل الرضا. وذلك لما نعلمه من محبة المأمون الشديدة لعلي الرضا وتزويجه ابنته وجعله وليا لعهده ومحاربته في ذلك أهل بيته.
وقد ذكر إبراهيم بن محمد الجويني (١) بسنده عن الحاكم البيع الحافظ يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ستدفن بضعة مني بخراسان، لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله
له الجنة وحرم جسده على النار.
وفي رواية: ستدفن بضعة مني بأرض خراسان، ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله ذنبه.
وقد روي أن رجلا من خراسان جاء إلى علي الرضا وقال له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيت رسول الله في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم
بعضي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في ثراكم نجمي؟ قال الرضا: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم وأنا الوديعة والنجم.
وعن الحاكم النيسابوري البيع بسنده قال أن علي الرضا قال: إني مقتول مسموم مدفون بأرض غربة، أعلم ذلك بعهد عهده إلي أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة.
ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين.
عن علي بن محمد بن علي الرضا قال: من كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدي الرضا بطوس وهو على غسل وليصل ركعتين ويسأل الله تعالى حاجته في قنوته، فإنه يستجاب له ما لم يسأله في مأثم أو قطيعة رحم. وإن موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة، لا يزورها مؤمن إلا أعتقه الله من النار وأدخله دار القرار.

---

(١) إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني (٦٤٤ - ٧٣٠ ه): فرائد السمطين ج ٢ / ١٨٧ - ٢٣٢ تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي بيروت لبنان ١٤٠٠ ه / ١٩٨٠ م وما رواه الجويني في هذا الموضوع فيه نظر فإن صح فهو محمول على الكرامة التي تقع للأولياء والأكابر.

وذكر إبراهيم الجويني (١) أن الرضا دخل على المأمون فوجد عنده امرأة تسمى زينب وكانت تدعي أنها من نسل الإمام علي وأن عليا دعا لها بالبقاء إلى يوم الساعة. فقال له المأمون: سلم على أختك فقال الرضا: والله ما هي أختي ولا ولدها علي بن أبي طالب. فقالت زينب: والله ما هو أخي ولا ولده علي بن أبي طالب. فقال الرضا: إنا أهل بيت لحومنا محرمة على السباع، فاطرحها إلى السباع فقالت زينب: ابدأ بالشيخ. فقال المأمون لقد أنصفت. قال الرضا: أجل ودخل على السباع فلما أن رأته بصبصت له فقام وصلى ما بينها ركعتين ثم خرج. فأمر المأمون بزينب وطرحت للسباع فأكلتها.

وذكر الجويني أن الرضا دخل على المأمون وبين يديه سبع شعرات وهو متحير فيهن فقال له الرضا: ما لي أراك مهموما؟ قال المأمون: بالباب بدوي دفع إلي سبع شعرات يزعم أنهن من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طلب الجائزة، فإن يك

صادقا ومنعته الجائزة قد بخست شرفي، وإن يك كاذبا فأعطيته الجائزة فقد سخر بي، وما أدري ما أعمل. فقال الرضا: النار والشعر. فألقى الشعر في النار فاحترقت ثلاث شعرات وبقيت أربعة لم يكن للنار عليها سبيل. فأدخل المأمون البدوي وهدده فاعترف بأن ثلاث شعرات كانت من لحيته وهي التي أكلتها النار وأن أربعا كانت من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تمسها النار.

احتباس المطر بعد البيعة بولاية العهد للرضا

لما بويع الرضا بولاية العهد احتبس المطر وتكلم أناس في ذلك وسعوا به إلى المأمون. فاشتد ذلك على المأمون، وقال للرضا: قد احتبس عنا المطر، فلو دعوت الله تعالى أن يمطر الناس. قال الرضا: نعم. قال المأمون: ومتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة فقال الرضا: يوم الاثنين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني البارحة

في منامي ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: يا بني انتظر يوم الاثنين فأبرز فيه إلى الصحراء واستسق فإن الله عز وجل يسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك.

----

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

فلما كان يوم الاثنين بروزا إلى الصحراء وخطبهم الرضا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وآله ودعا بالسقيا والغيث، وقال: وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم.

فاجتمعت الغيوم لساعتها وأرعدت وأبرقت، فتحرك الناس، فقال الرضا: على رسلكم أنها الناس فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لبلد كذا. فمضت السحابة وعبرت ثم أتت أخرى فتحرك الناس فقال لهم: وهذه ليست لكم وإنما هي لبلد كذا حتى مرت عشر سحائب فلما جاءت الحادية عشرة قال لهم: هذه بعثها الله لكم فاشكروا الله على تفضله عليكم وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم فإنها مسامتة لرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله عز وجل (١).

ونزل المطر غزيرا وعظمت البركة بدعاء الإمام علي الرضا.

وذكر الجويني (٢) أن أبا النضر المؤذن النيسابوري أصابته علة شديدة وثقل عليه الكلام، فذهب إلى الرضا لزيارته ودعا الله عنده وتوسل به. فرأى الإمام الرضا في المنام يقول له: قل لا إله إلا الله. فأومأت إليه كيف أقول ذلك ولساني منغلق، فصاح أتنكر قدرة الله.. قل لا إله إلا الله، فقلتها وانطلق لساني ولم ينغلق بعدها.. وأكثرت من لا إله إلا الله).

وذكر أن زيد الفارسي أصيب بالنقرس الشديد في رجليه فلم يستطع أن يصلي قائما، فزار الرضا ودعا الله عنده فذهب عنه النقرس.

قال الجويني والحوادث التي رويت في هذا الباب كثيرة ومتواترة إلى يومنا هذا.. وكثيرا ما يفرج الله الهم وتقضى الحوائج بدعاء الله الكريم والتوسل بنبيه وآل بيته.

* * *

---

(١) ذكر القصة بطولها الجويني في كتابه فرائد السمطين ج ٢ / ٢١٢ – ٢١٣.

(٢) فرائد السمطين ج ٢ / ١٨٧ – ٢٣٢ بتحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي – بيروت ١٤٠٠ ه / ١٩٨٠.

ولا بد لنا لكي نستكمل ترجمة الإمام علي الرضا أن نترجم لوالده الإمام موسى الكاظم فهو شيخه وأستاذه وقدوته وإمامه. ثم نترجم لابنه محمد الجواد الذي أخذ عنه وتأدب بأدبه فهو مرآة أبيه علي الرضا. ثم نترجم لمولاه معروف الكرخي فقد أخذ من علم الإمام علي الرضا وأدبه وزهده الكثير.

وهذه ظاهرة عجيبة لا توجد لدى أي أمة من الأمم إلا في هذه الأمة المرحومة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم. حيث يصل العبيد والموالي إلى مراكز مرموقة في العلم

والتقى ويتولون قيادة المجتمع. وكما يقول ابن خلدون في المقدمة فإن أكثر أهل العلم هم من الموالي (أي الذين كانوا عبيدا وأعتقوا). ثم صارت لهم الغلبة والدولة منذ أن جلب المعتصم العباسي الأتراك من سهول القفجاق (التركستان الشرقية) وجعلهم جنده وخاصته وتولوا الوزارة. وكان من هؤلاء أحمد بن طولون الذي أسس الدولة الطولونية في مصر والاخشيد الذين أسسوا الدولة الاخشيدية ومحمود بن سبكتكين الغزنوي الذي أسس الدولة الغزنوية.. والدولة الخوارزمية أسسها مولى وهو أنوشتكين. والدولة السلجوقية الباذخة أسسها مولى. وأما دولة المماليك فهي أشهر من أن تذكر.

وفي العلم كان في طبقة الصحابة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وزيد بن حارثة مولى رسول الله وياسر وزوجته سمية وابنهما عمار وكلهم كانوا من الموالي والعبيد فرفعهم الاسلام إلى القمة الباذخة.

ومن طبقة التابعين نذكر الإمام الحسن البصري مولى أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلميذ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وحامل الكثير من علمه

وعلم أجلة الصحابة.

وكان في هذه الطبقة عكرمة مولى ابن عباس وحامل الكثير من علمه، ونافع مولى ابن عمر وتلميذه.. وكان فيهم طاووس ومكحول الدمشقي وكلهم من الموالي.

وتكفي هذه اللمحة وإلا فالمجال واسع ويحتاج إلى رسالة خاصة ومؤلف كامل لو أمد الله في العمر لوضعناه بإذن الله تعالى، وذلك للرد على من يتخرصون

ويتهجمون على الاسلام بأنه أقر نظام الرق: (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم).. وهؤلاء الأدعياء من الكفار والصليبيين ونغولهم هم من أشد الناس استعبادا لخلق الله..

وفي الولايات المتحدة استعبد الرجل الأبيض مائة مليون شخص جلبوا من إفريقيا على مدى قرنين من الزمن، قتل فيها تحت سياط التعذيب وفي المناجم والحقول والمصانع أكثر من سبعين مليون إفريقي.

ولم يعرف السود في الولايات المتحدة شيئا من الحرية إلا في الآونة الأخيرة بعد اغتيال مارتن لوثر كنج في الستينات من القرن العشرين.

(٢) والد الإمام علي الرضا: الإمام موسى الكاظم
١٢٨ - ١٨٣ ه
صفته ونسبه: وصفه ابن الصباغ بقوله:
(وهو الامام الحبر الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما).. وكان إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال.
وهو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين
ابن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، مولده بالأبواء، حيث دفنت آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ١٢٨ ه وأمه أم ولد تسمى حميدة البربرية (من
البربر من شمال إفريقية). وكنيته أبو الحسن. وألقابه كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين.
كان رحمه الله أسمر اللون وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفا
وأكرمهم نفسا وكان يتفقد فقراء المدينة ويحمل إليهم نفقاتهم إلى بيوتهم، لئلا يعرفوه فلما مات انقطع ذلك عنهم.. وتلك كانت صفة آبائه وخاصة علي زين العابدين. وكان أحلم أهل زمانه.. وقد جمع بنيه ذات يوم وقال لهم: إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في أذنه اليمنى مكروها ثم تحول إلى الأذن اليسرى فاعتذر فاقبلوا عذره. وسأله أخوه إسحاق بن جعفر: أيكون المؤمن خائنا؟ قال: لا. قال أيكون كذابا؟ قال: لا... وقال حدثني أبي عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كل خلة يطوى المؤمن ليس الكذب والخيانة.
وسأله الرشيد ذات يوم: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم بنو علي

وإنما ينسب الرجل لأبيه؟ فقال موسى الكاظم: قال الله تعالى في آية المباهلة (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل).
الآية. ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلة نصارى نجران غير علي وفاطمة والحسن والحسين
وهما الأبناء.. وقال تعالى: (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون. وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس). وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية الأنبياء من جهة أمه، وكذلك ألحقنا بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة الزهراء) فسكت الرشيد وأفحم.
ولما حبس المهدي العباسي الإمام موسى الكاظم رأى الإمام علي بن أبي طالب في النوم يقول له: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) فانتبه المهدي وأرسل من فوره إلى الربيع وأمره بإخراج موسى بن جعفر من السجن وإحضاره إليه. فلما حضر قام وعانقه وأخبره الرؤيا. وقال له: تأمنني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي. فقال الإمام موسى الكاظم: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني. قال صدقت.. وقال: يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى المدينة.

من كراماته (رضي الله عنه)

لقد رويت عنه كثير من الكرامات. وليس ذلك بمستغرب فقد كان خيرة أهل عصره وأفضلهم وأعلمهم وأزهدهم وأعبدهم.
قال حاتم الأصم (١): قال لي شقيق البلخي (٢): خرجت حاجا في سنة تسع

---

(١) حاتم الأصم (وفاته سنة ٢٣٧ ه): أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان (وقيل يوسف) الملقب بلقمان هذه الأمة لاشتهاره بالحكمة. وقد كان حاتم مولى للمثنى بن يحيى المحاربي فأعتقه، وصحب حاتم شقيقا البلخي أكثر من ثلاثين عاما. وكان حاتم زاهدا عالما حكيما مجاهدا. وقد كان كثير الغزو مع شيخه شقيق البلخي فلما استشهد شيخه واصل هو الجهاد حتى وافته المنية سنة ٢٣٧. وهو من أهل بلخ (شمالي أفغانستان).
(٢) شقيق بن إبراهيم البلخي (المتوفى سنة ١٩٤ ه شهيدا في معركة كولان على حدود الصين) أبو علي، أحد مشاهير المشايخ الاعلام في خراسان من أهل بلخ (شمالي أفغانستان) تتلمذ على يد الامام المجاهد الزاهد إبراهيم بن أدهم.. كان من أوائل من تكلم في الرقائق والتصوف.. وكان مع ذلك من الفاتحين المجاهدين.. وكانت شجاعته مضرب المثل. قال تلميذه حاتم الأصم: (كنا مع شقيق البلخي، ونحن معانو الترك (التركستان الشرقية قبل إسلامهم) في يوم لا نرى فيه إلا رؤوسا تندر وسيوفا تقطع، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ تراها في مثل الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قلت لا والله.. فقال: لكني أرى نفسي في هذا اليوم مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي!! وكان شقيق عالما زاهدا وله مع الامام أبي حنيفة صحبة، وروى الحديث النبوي الشريف عن جماعة منهم عباد بن كثير. وخرج عن ثلاثمائة ألف درهم هي كل ما كان يملك ووزعها على الفقراء.

وأربعين ومائة (١٤٩ ه) فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر الناس إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة نحيف، فوق ثيابه صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان وقد جلس منفردا. فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم.. والله لأمضين إليه ولأوبخنه. فدنوت منه فلما رآني قال: يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، وتركني وولى.
فقلت في نفسي إن هذا الامر عظيم تكلم على ما في خاطري ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لألحقنه وأسأله الدعاء وأن يحللني مما ظننته به فغاب عني.
فلما نزلنا واقضة فإذا هو واقف يصلي فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلي وقال: يا شقيق (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم قام ومضى وتركني. فقلت هذا الفتى من الابدال لقد تكلم على سري مرتين.
فلما نزلنا زبالا (اسم منزل) وإذا أنا بالفتى قائم على البئر. وبيده ركوة (قربة) يريد أن يستقي فيها الماء، فسقطت الركوة من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول: أنت ربي إذا ظمئت.. ثم قال اللهم إلهي وسيدي ما لي سواك. فلا تعدمنيها. قال شقيق فوالله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده وأخذها ملأ، فتوضى منها وصلى أربع ركعات. ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك. ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب. فشبعت ورويت وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا.

ثم رأيته بمكة وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك إلى طلوع الفجر. فلما أصبح جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام إلى حاشية الطواف فركع الفجر (أي سنة الفجر) هناك ثم صلى فيه الصبح (أي صلاة الفجر) مع الناس. ثم دخل الطواف فطاف إلى بعد شروق الشمس.. ثم خرج فخرجت خلفه أريد السلام عليه. وإذا بجماعة قد طافوا به يمينا وشمالا من خلفه ومن قدامه. وإذا له حاشية وخدم وحشم وأتباع قد خرجوا معه. فقلت لهم: من هذا الفتى! فقالوا: هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقلت لا يكون هذا إلا لمثل هذا) (١).

وروى ابن الصباغ أن أحد تلاميذ الإمام موسى كان عنده في ليلة مطيرة فقال له: قم فقد انهدم البيت على متاعك. قال (فقمت فإذا البيت قد انهدم على متاعي فاكتريت (استأجرت) قوما كشفوا عن متاعي واستخرجت جميعه لي شئ غير سطل للوضوء. فلما أتيته من الغد قال: فقدت شيئا من متاعك؟ فندعو الله لك بالخلف. قلت: ما فقدت غير سطل كنت أتوضأ به فأطرق رأسه ثلاثا ثم قال: قد ظننت أنك أنسيته قبل جارية رب الدار فاسألها عنه وقل لها: أنسيت السطل في بيت الخلاء فرديه. وأنها سترده عليك). قال فسألتها عنه فردته.

وروى ابن الصباغ أيضا قصة علي بن يقطين أحد موظفي هارون الرشيد. وكان الرشيد يحبه فأرسل إليه ثيابا فاخرة ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء. فأنفذ بها علي بن يقطين إلى الإمام موسى الكاظم. فردها الامام وكتب إليه: احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها.

وغضب علي بن يقطين على أحد غلمانه وخدمه، وكان الغلام من خاصته

---

(١) ذكر هذه القصة ابن الجوزي: سير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ونقلها عنه ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص ٢٣٤. وذكرها أيضا ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة ج ٢ / ١٨٤ - ١٨٧ دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩ ه / ١٩٧٩. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي.

ويعلم بأن سيده قد بعث بها إلى الإمام موسى الكاظم. فسعى حتى وصل إلى الرشيد وقال له: إن علي بن يقطين يحمل الأموال وزكاته إلى موسى الكاظم وأنه بعث بالدراعة المنسوجة بالذهب إلى الإمام موسى الكاظم فغضب الرشيد غضبا شديدا.. وكان يخشى من ميل الناس للإمام موسى الكاظم، واستدعى علي بن يقطين وقال له: ما فعلت بالدراعة التي اختصصتك بها من بين سائر خواصي. قال هي عندي يا أمير المؤمنين في سفط في طيب مختوم عليها فقال: أحضرها الساعة. فنادى علي بن يقطين بعض خدمه وقال له امض إلى داري وخذا هذا المفتاح وافتح الصندوق الفلاني وائتني بالسفط الذي فيه. فلم يلبث الخادم إلا قليلا حتى جاء بالسفط مختوما.. ففتحه بين يدي الرشيد فإذا الدراعة مطوية وعليها الطيب لم تلبس ولم يصبها شئ. فاعتذر الرشيد لعلي بن يقطين وأمر أن يضرب الساعي ألف سوط فضرب فلما بلغوا خمسمائة مات.

ورغم هذا كله فإن الرشيد بقي يتوجس من الإمام موسى الكاظم والوشاة والسعاة يهولون له الامر ويقولون له إنه يجمع الزكوات من الناس وأنه يسعى للخلافة. فدخل الرشيد المدينة المنورة وسار الرشيد ذات ليلة إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر أريد أن أفعله. وهو أن أمسك موسى بن جعفر فإنه يريد التشعيب بين أمتك وسفك دمائهم. وإني أريد حقنها. ثم خرج وأمر بحبس موسى بن جعفر وأرسله مخفورا إلى البصرة إلى ابن عمه واليها عيسى بن جعفر بن المنصور. فلما مكث موسى في السجن سنة بعث الرشيد يأمر عيسى بسفك دم الإمام موسى والتخلص منه. فشق ذلك على عيسى بن جعفر وكتب إلى الرشيد يستعفيه من ذلك وأخبره بأن الإمام موسى

طوال مدة سجنه لم يذكر الرشيد بسوء ولا أحد من الناس بل كان يدعو للناس كافة مع ملازمته الصيام والصلاة والذكر وقراءة القرآن وأنه لم ير أعبد منه. فكتب الرشيد إلى السندي بن شاهك أن يتسلم الإمام موسى. وقيل إنه سمه وهو في السجن وقيل بل مات موتا طبيعيا عند ابن شاهك.

وقد ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة أن الإمام موسى بعث إلى الرشيد وهو في السجن كتابا جاء فيه: (إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى معه

عنك يوم من الرخاء حتى نمضي جميعا إلى يوم ليس فيه انقضاء. وهناك يخسر المبطلون).

وقد رويت عنه الكثير من الكرامات ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (ج ٢: صفحة ١٨٤ - ١٨٧) وكتاب ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (ص ٢٣١ - ٢٤٢).

(٣)

ابن الإمام علي الرضا: الإمام محمد الجواد

١٩٥ - ٢٢٠ ه

نسبه وصفته وعلمه:

هو أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ويقال له أبو جعفر الثاني لأن جده محمد الباقر يكنى بأبي جعفر. ولد بالمدينة المنورة في ١٩ رمضان ١٩٥ ه. وأمه أم ولد يقال لها سكينة النوبية وقيل المريسية. وأشهر ألقابه الجواد لكثرة جوده.

وكان عظيم الجود واسع الكرم كثير العبادة مشهورا بالعلم والتقوى..

ورغم صغر سنه فقد كان نابغة قوي الحجة. ومما يروى في ذلك أن المأمون خرج يوما للعيد والصبيان يلعبون وفيهم محمد الجواد فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد الجواد وعمره إذ ذاك تسع سنين فقال له المأمون: يا غلام ما منعك أن لا تفر كما فر أصحابك؟ فقال له محمد الجواد: (يا أمير فر أصحابي فرقا، والظن بك حسن. إنه لا يفر عنك من لا ذنب له، ولم يكن الطريق ضيقا فأنتحي عن أمير المؤمنين).

فأعجب به المأمون وسأله ما اسمك يا غلام؟ فقال: أنا محمد بن علي الرضا.

فترحم المأمون على أبيه الرضا. وأخذه معه وقربه وأكرمه.. وظهرت للمأمون من بركاته ووفور عقله وعلمه ما أدهشه على صغر سنه.. ولما كبر قليلا أراد أن يزوجه ابنته أم الفضل وبلغ ذلك العباسيين فشق عليهم ذلك وكرهوه مخافة

أن يعهد إليه بولاية العهد كما عهد لأبيه من قبل.. وألحوا على المأمون في ذلك وقالوا هو فتى صغير. فقال لهم المأمون إن محمدا على صغر سنه، قد فاق من هم أكبر منه سنا وقدرا في العلم ووفور العقل وإن شئتم فاختبروه. فسروا بذلك واجتمع رأيهم على القاضي يحيى بن أكثم لمناظرته ووعدوه بأشياء كثيرة.
فاجتمعوا جميعا للمناظرة وبدأ القاضي يسأل ومحمدا الجواد يجيب عن كل ما سأل بوفور علم ورباطة جأش ولسان طلق.. وتعجب القوم من فصاحة لسانه وحسن اتساق منطقه ونظامه ووفور علمه ومداركه.
وسأله بعد ذلك أبو جعفر (وهذه كنيته قبل أن يكون له أولاد بل قبل الزواج) قائلا: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أول النهار بشهوة، فكان نظره إليها حراما، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له. فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات؟ فقال يحيى بن أكثم لا أدري. ثم طلب من محمد الجواد أن يحل له هذا اللغز الفقهي العويص فقال أبو جعفر محمد الجواد: هذه أمة لرجل من الناس نطر إليها بعض من الناس أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراما. فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار (بعتق رقبة) فحلت له. فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه، فلما كان الفجر راجعها فحلت.
فأعجب بجوابه الحاضرون وعلى رأسهم المأمون الذي قال: هل فيكم أحد يستطيع أن يجيب مثل هذا الجواب. فقالوا: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
وأقبل على أبي جعفر وقال إني مزوجك ابنتي أم الفضل، وإن رغم ذلك أنوف قوم. قم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي.
فوقف أبو جعفر وقال: الحمد لله إقرارا بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصا لوحدانيته، وصل الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته. أما بعد،

كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى:
(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم).

ثم إن محمد بن علي بن موسى (يعني نفسه) خطب إلى أمير المؤمنين ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خمسمائة درهم جيادا، فهل زوجتني إياها يا أمير المؤمنين على هذا الصداق المذكور. فقال المأمون: زوجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصداق المذكور (١).

وقام الخدم يطيبون من في المجلس بأنواع الطيب ويقدمون موائد الحلوى، وفرق المأمون الجوائز والأعطيات.. وتصدق المأمون على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والمدارس بأموال كثيرة.

ثم إن محمدا الجواد سار بأهله إلى المدينة فكتبت أم الفضل إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرى علي (أي أنه استخدم السرائر والإماء) فكتب إليها المأمون: (يا بنية إنا لم نزوجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالا. فلا تعاوديني لذكر شئ مما ذكرت).

وكان من كراماته أنه لما توجه أبو جعفر منصرفا من بغداد إلى المدينة المنورة بأهله دخل مسجدا قديما من باب الكوفة وصلى فيه بالقرب من شجرة نبق لم تحمل قط تمرا. فدعا بكوز وتوضأ في أصل الشجرة وقام يصلي بالناس المغرب ثم انصرف فلما أصبحوا فإذا بالشجرة قد حملت نبقا كثيرا لا عجم فيه (٢).

وذكر من كراماته أن حاكم دمشق سجن أحد أتباع الإمام محمد الجواد وقال له الحاكم محمد بن عبد الملك الزيات يسخر منه: قل لمحمد الجواد يخرجك من هذا السجن.. فلما أصبحوا وجدوا السجين وقد غادر السجن، والقيد على حاله، ولم يعرف أحد أين ذهب ولا كيف تخلص من تلك القيود والاغلال من عنقه.

---

(١) انظر إلى المأمون وهو أعظم ملوك الأرض قاطبة يومئذ وهو يزوج ابنته بخمسمائة درهم لا غير وعنده من الأموال ما إن تنوء أولو العصبة بحمل مفاتيح خزائنها.

(٢) أي بدون نوى.

من كلامه ومروياته: روى عن أبيه عن جده يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بعث عليا بن أبي طالب إلى اليمن قال له: (يا علي. عليك بالدلجة، فإن الأرض تطوي بالليل ما لا تطوي بالنهار. يا علي عليك بالبكر، فإن الله تعالى بارك لأمتي في بكورها).

ومن أقواله:

(من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة).

(ولو كانت السماوات والأرض وقعتا على عبد ثم اتقى الله تعالى، لجعل له منها مخرجا).

(إن للمحن أخريات لا بد أن تنتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها، فإن مكابدتها عند إقبالها زيادة فيها).

(ومن وثق بالله أراه السرور، ومن توكل على الله كفاه الأمور، والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا المؤمن، والتوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو.. والدين عز والعلم كنز والصمت نور. وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع ولا أفسد للرجال من الطمع. وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية. ومن ركب مركب العمر اهتدى إلى مضمار النصر. ومن شتم أجيب. ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى).

(أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق).

(أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجرهم وفخره. فما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه) أي إنك إذا صنعت معروفا لأحد فقد قامت ذلك لنفسك وأنت المستفيد الأول.

(ومن كثر همه سقم بدنه. ومن جهل شيئا عابه، والفرصة خلسة، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه).

(العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى والصبر زينة البلاء وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الكرم، وترك المن زينة المعروف. والخشوع زينة الصلاة. وترك ما لا يعني زينة الورع).

وكانت وفاته من شهر المحرم سنة ٢٢٠ ه وهو ابن خمس وعشرين سنة.

(٤) مولى الإمام علي الرضا:
معروف بن الفيرزان الكرخي
وفاته سنة ٢٠١ ه
نسبه وقصة إسلامه

هو أبو محفوظ معروف بن الفيرزان الكرخي. ونسبته إلى الكرخ محلة معروفة ببغداد. وهو مولى الإمام علي الرضا وتلميذه.

كان أبواه نصرانيان فأرسلاه إلى القسيس مع أخيه عيسى ليتعلم الدين النصراني وهو طفل صغير. فكان القسيس يقوله له: آب، ابن، روح قدس فيصيح معروف وهو صغير: بل أحد أحد. فيضربه المعلم ضربا شديدا.. حتى ضرب ذات يوم ضربا مبرحا فهرب على وجهه (١).

وحزنت أمه عليه حزنا شديدا فقد كان (معروف) الصبي شديد الذكاء برا بأمه وكانت أمه تحبه حبا عظيما، فلما فر معروف من القسيس وضربه الضرب الشديد. كان الأم تصرخ وتقول: ليته يعود.. على أي دين شاء.. والله لأتبعنه على دينه.

وغاب معروف في دروب الحياة وتقاذفته أمواجها.. ولكنه ما لبث أن عاد أدراجه إلى أمه وأبيه وإخوته بعد أن تعرف على الاسلام وشرب من حياضه وارتوت نفسه الظمأى إلى النور وأضاء الاسلام جوانب نفسه بأنوار الاسلام وإشراقاته، وزادته ألقا ونورا.

وفرحت الأم بمقدمه فرحا شديدا. وفرح الأب كذلك.. وفرحت الأسرة

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج ٢ / ٣١٨ – ٣٢٤ تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩ ه / ١٩٧٩.

كلها.. ومضى معروف يحدثهم عن دينه الجديد وما وجد فيه من سكينة النفس وهدوء البال وراحة الضمير.. وحدثهم عن الاله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأخبرهم أن المسيح عليه السلام إنما هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، وأن الله خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب. وليس لله، جلت قدرته، أب ولا ابن ولا زوجة ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأقبل الفتى معروف على أمه وأبيه وإخوته يحدثهم بكل الحب الذي ملأ جوانح قلبه لهذا الدين ويوضح لهم أن عيسى عليه السلام قد جاء مبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد.. وأن دين أحمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يفرق بين أحد من رسل الله... وأن الأنبياء جميعا أبناء علات. دينهم واحد ومقصدهم واحد ووجهتهم واحدة: (إن الدين عند الله الاسلام).

وإنما جاء الاختلاق من أتباع الرسل، الذين حرفوا تلك الرسالات وبدلوها..

وانبهرت الأم بكلام ابنها الواضح الجميل السهل الذي لا تعقيد فيه..

وكانت أول من امتلأت جوانب قلبه بالنور.. فصاحت والدموع في مآقيها: أشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمدا رسول الله.

ورأى الأب الحق واضحا في ما قاله ابنه الفتى معروف.. وانهدمت كل تلك التساؤلات التي بقيت معشعشة في حنايا صدره بإجابات معروف التي تصل إلى القلب مباشرة دون واسطة ولا حجاب.. وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله. وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وما لبث الاخوة أن رأوا النور كما رآه الأبوان فأسلمت الأسرة كلها بفضل الله ثم بدعوة معروف لها..

ولا يحدثنا التاريخ عن قصة إسلام معروف بالتفصيل ولكنه يذكر لنا أن

معروفا أسلم على يد الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١). وأنه أصبح من مواليه وأنه أخذ عنه العلم والعمل.

إقبال معروف على الله:

ومر معروف ذات يوم بواعظ يعظ الناس يدعى ابن السماك فسمعه يقول: من أقبل على الله بقلبه، أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتا ما. قال معروف: فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا. وذكرت هذا الكلام لمولاي. فقال يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت.

وكان معروف رضي الله عنه دائم العبادة قليل الكلام معرضا عن الدنيا زاهدا فيها.

وقد ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة: أن رجلا دخل على معروف في مرضه الذي مات فيه فقال له: يا أبا محفوظ. أخبرني عن صومك؟ قال: كان عيسى عليه السلام يصوم كذا. فقال الرجل: أخبرني عن صومك؟ قال معروف: كان داود عليه السلام يصوم كذا. فكرر الرجل السؤال فقال معروف: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصوم كذا.. فقال الرجل: إنما أسألك عن صومك أنت؟ فاضطر معروف لاخباره قائلا: أما أنا فكنت أصبح دهري كله صائما فإن دعيت إلى الطعام أو الشراب أكلت وشربت ولم أقل أني صائم.

وكان ذات يوم صائما فسمع رجلا يقول: رحم الله من شرب من هذا الكوز فأقبل عليه وشرب.

من كلامه: قال له رجل: أوصني، فقال معروف: توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك، وأكثر من ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس

---

(١) عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية. طبعة مصورة والناشر دار الكتاب العربي – بيروت لبنان، وبالهامش شرح وتعليق شيخ الاسلام زكريا الأنصاري. ص ٩ – ١٠.

غيره. واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك.

سأله تلميذه سري السقطي ذات يوم عن الطائعين بأي شئ قدروا على طاعة الله عز وجل؟ قال: بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة...

وتحدث جار معروف الكرخي وهو القاسم بن محمد البغدادي قال: كنت جار معروف الكرخي، فسمعته في السحر ينوح ويبكي وينشد:

أي شئ تريد مني الذنوب * شغفت بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوب لو أعتقتني * رحمة لي؟ فقد علاني المشيب

ويذكر ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة أن معروفا كان قاعدا على شاطئ دجلة إذ مر به شباب في زورق يضربون الملاهي ويشربون. فقال له إبراهيم الأطرش، وكان معه: ألا ترى إلى هؤلاء يعصون الله تعالى. أدع عليهم فرفع يده إلى السماء وقال: إلهي وسيدي. أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا. فاستغرب أصحاب معروف من هذه الدعوة فقال معروف موضحا: إذا فرحهم الله في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم بشئ.

وهكذا كان معروف رحمه الله حريصا على هداية العصاة والدعاء لهم بالتوبة.. وقال ابن أخت معروف ذات يوم: يا خال أراك تجيب كل من دعاك. قال: يا بني، إنما خالك ضيف ينزل حيث ينزل. وهو يعني قرب سفره من الدنيا وعدم احتفاله بها.

وكان معروف يكره أن يغتاب أحد في مجلسه. فإذا تحدث أحد الحاضرين بذكر فلان قال له: أذكر الموت، واذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

وكان معروف إذا خلا إلى نفسه بكى وضرب نفسه وقال: يا نفس كم تبكين؟ أخلصي وتخلصي.

من كراماته (١) قال خليل الصياد: غاب ابني إلى الأنبار فوجدت أمه وجدا شديدا فأتيت معروفا وأخبرته بوجد أمه وطلبت منه أن يدعو الله أن يرده عليها فقال: اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك فأت به. قال خليل: فأتيت باب الشام (في بغداد) فإذا ابني قائم منبهر فقلت يا محمد. فقال: يا أبت. الساعة كنت بالأنبار).
وجاءه ابن شيرويه ذات يوم وقال له: يا أبا محفوظ. بلغني أنك تمشي على الماء. فقال معروف ما مشيت على الماء قط، ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها (أي طرفي دجلة) فأتخطاها.
من تلاميذه: يعتبر سري السقطي من أكبر تلاميذ معروف الكرخي. وكان سري يقول: هذا الذي أنا فيه من بركات معروف. انصرفت من صلاة العيد فرأيت مع معروف صبيا شعثا. فقلت له: من هذا؟ قال: رأيت الصبيان يلعبون. وهذا واقف منكسر فسألته لم لا تلعب؟ قال أنا يتيم فأخذه عنه سري وكساه وأعطاه فقال معروف: خذه أغنى الله قلبك.. وبغض إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه.
قال سري: فقمت من الحانوت وليس شئ أبغض إلي من الدنيا. وكل ما أنا فيه من بركات معروف. وتتلمذ على يد سري السقطي ابن أخته الجنيد شيخ الطائفة العالم الرباني الزاهد العابد.

---

(١) انظر صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ / ٣١٨ – ٣٢٤ والرسالة القشيرية ص ٩ – ١٠ وشرح العينية لأحمد بن زين الحبشي.

الباب الثالث
الرسالة الذهبية
ومصنفات الإمام علي الرضا

مصنفات الإمام علي الرضا

للإمام علي الرضا مصنفات كثيرة بعضها مفقود وبعضها موجود، ومنها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط.. وقد جاء في نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا (١) وفهرس مخطوطات الطب الاسلامي (٢) وذخائر التراث العربي الاسلامي (٣) ودليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية (٤) تحت مادة الرضا المصنفات التالية:

١ - صحيفة الرضا: وهي أحاديث رواها الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن جده جعفر الصادق عن محمد الباقر عن علي زين العابدين عن سيد شباب الجنة الحسين السبط عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد جمعها الفضل بن حسن الطبرسي. وطبع الكتاب لأول مرة في لكنو بالهند طبع حجر سنة ١٨٨٣ م ثم طبع مرة أخرى في طهران سنة ١٣٧٧ ه - ١٩٥٨ م، نشره حسين علي محفوظ، وأعيد طبع الكتاب في النجف بالعراق سنة ١٣٩١ ه / ١٩٧١ م.

---

(١) نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، إعداد رمضان ششن المجلد الثاني، دار الكتاب الجديد بيروت ١٤٠٠ ه / ١٩٨٠ ص ٢٤٢.

(٢) فهرس مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا إعداد رمضان ششن وإشراف كما الدين إحسان أوغلي - إصدار مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول ١٩٨٤.

(٣) ذخائر التراث العربي الاسلامي. إعداد عبد الجبار عبد الرحمن - كلية الآداب جامعة البصرة العراق (ج ١ / أ - ش) ١٩٨١ م.

(٤) دليل ببلوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠.

وطبع الكتاب في دمشق مرتين أحدهما سنة ١٣٣٤ ﻫ / ١٩١٦ والثانية ١٣٩٥ ﻫ / ١٩٧٥ م. وتوجد مخطوطة في مكتبات تركيا باسم أحاديث مروية عن الإمام علي الرضا بسنده عن أبيه عن جده برواية أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي. مخطوط رقم ١٠٨٣ ومكتبة فيض الله أفندي رقم ١٦٦. وقد كتبت المخطوطة سنة ٩٢٦ ﻫ.

٢ – مسند الإمام علي الرضا وقد طبع مع مسند الامام زيد في القاهرة.

٣ – فقه الرضا: مطبوع في طهران ١٣٧٤ ﻫ / ١٩٥٤ تقديم محمد مهدي بحر العلوم.

٤ – رسالة في التوحيد.

٥ – طب الإمام الرضا المسمى الرسالة الذهبية (الرسالة المذهبة) وهذه هي الرسالة التي سنقوم بإعادة نشرها مع التعليق عليها بإذن الله تعالى وسنوضح سبب تأليفها وقيمتها التاريخية والعلمية، وسبب تسميتها.

مخطوطات الرسالة الذهبية:

وتوجد هذه الرسالة مخطوطة ومطبوعة في مكتبات مختلفة. ويوجد من المخطوط النسخ التالية في مكتبات تركيا (١):

أ – برواية محمد بن جمهور القمي تلميذ الإمام علي الرضا في مكتبة رئيس الكتاب برقم ١٦٦١ / ١٥ بخط نسخ، كتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد المصري الدمياطي الشافعي الأنصاري سنة ٧٨٩ ﻫ بدمشق.

ب – نسخة في مكتبة بغداد لي وهبي برقم ١٤٨٥ / ١، كتبت المخطوطة سنة ١٢٢٧ ﻫ.

ج – نسخة بمكتبة علي أميري، بالقسم العربي برقم ٢٨٤٣ / ٢ بخط نسخ كتبت في القرن الحادي عشر الهجري.

---

(١) فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا، إعداد رمضان ششن وإشراف كمال الدين إحسان أوغلي ١٤٠٤ ﻫ / ١٩٨٤ م.

د – نسخة بمكتبة شيخ الاسلام أسعد أفندي برقم ١٨٤ / ٢ بخط نسخ، برواية الشيخ محمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصاري المعروف بابن الكنفاني وقد كتبت المخطوطة في القرن التاسع الهجري.

وتوجد في مكتبات تركيا أيضا نسختان من ترجمة الرسالة الذهبية (الرسالة المذهبة) إلى اللغة الفارسية وقد ترجمها أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أبي بكر السلماسي الوراق المتوفى في حدود سنة ٦٢٤ ه / ١٢٢٦ م. وهي موجودة في مكتبة الفاتح باستنابول برقم ٥٢٩٧ / ٤ بخط يد المترجم وهي نسخة نفيسة جدا. وقد كتبت سنة ٦٢٤ ه. وتوجد نسخة أخرى في مكتبة بغداد لي وهبي برقم ١٤٨٨ / ٩ وقد كتبت المخطوطة سنة ١٠٥٨.

وتوجد من المخطوطة نسخ عديدة في مكتبات العراق وخاصة في النجف ومكتبات طهران، ودار الكتب المصرية (١). وقد طبع طبعات عديدة ومع هذا فإن الكتاب شبه مفقود ما عدا لدى بعض المختصين. حتى أن الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل في تحقيقه لكتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي (٢) والذي نال به درجة الماجستير من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ذكر أن كتاب الإمام علي الرضا في الطب، الرسالة الذهبية، مفقود. وكذلك ذكر الدكتور ناظم نسيمي في كتابه الطب النبوي والعلم الحديث (٣) أن هذا الكتاب مفقود. وكلاهما وضعه ضمن الكتب المفقودة في الطب النبوي والتي لا توجد منها أي نسخة مخطوطة فضلا عن مطبوعة.

والأمر على غير ذلك فالنسخ المخطوطة كثيرة جدا في تركيا والعراق وإيران

---

(١) جاء في قائمة بالمخطوطات الطبية في فهارس مخطوطات دار الكتب المصرية، إعداد أبو نهلة أحمد بن عبد المجيد ونشرتها مجلة المورد مجلد ٩، عدد ٢٣ / ١٩٨٠: الرسالة الذهبية تأليف علي بن موسى بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى. رقم ل ٤٨١٣ في ١٨ ورقة ونسخة أخرى بعنوان رسالة في تدبير الصحة برقم طب تيمور ٤٢٩ في ٢٤ ص، نسخت سنة ١٣٤٤.

(٢) السيد حسن محمد مقبولي: تحقيق كتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي للامام السيوطي، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية المدينة المنورة (مقدمة المحقق) ١٤٠١ ه / ١٩٨١ م.

(٣) د. ناظم نسيمي: الطب النبوي والعلم الحديث، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، سوريا ١٤٠٤ ه / ١٩٨٤ ج ١ / ص ٣٠.

وفي غيرها من مكتبات العالم، أما المطبوع فما بلغنا عنه هو الآتي:
مطبوعات الرسالة الذهبية:
١ - منشورات ملتقى العصرين، بغداد، مطبعة المعارف ١٩٥٣ م في ١٧٠ صفحة ونشره د. صاحب زيني مع تعليقات على ضوء الطب الحديث.
٢ - نشرة مرتضى العسكري في بغداد سنة ١٩٥٤ م.
٣ - المطبعة الحيدرية النجف ١٣٨٦ ه / ١٩٦٧ وقدم لها محمد مهدي السيد حسن الخرسان في ٤٨ صفحة.
٤ - المطبعة الحيدرية، النجف سنة ١٩٦٥ م في ١٤٤ صفحة.
٥ - طبع مؤخرا في طهران (١٩٨٧ م).
٦ - مطبوعة ضمن كتاب: رمز الصحة في طب النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم
السلام للسيد محمود الموسوي ألده سرخي الأصفهاني، دار الارشاد الاسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣. من ص ٩٥ إلى ص ١٢٩.

الشروح التي وضعت على هذه الرسالة

لقد حظيت الرسالة المذهبة في حفظ صحة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة التي بعث بها الإمام علي الرضا إلى المأمون باهتمام العلماء على مدار القرون وقام بشرحها عدد منهم نذكر منها ما يلي (١):
١ - السيد ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الراوندي المتوفى سنة ٥٤٨ ه له شرح سماه (ترجمة العلوي للطب الرضوي) ذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون ج ١ / ٢٨١.
٢ - المولى فيض الله عصارة التستري: وكان في عصر فتح علي خان وحكومته بتستر حوالي سنة ١٠٧٨ ه. وقد ترجم الذهبية باللغة الفارسية وشرحها.. وقال محمد بن محمد صالح الشيرازي في كتابه عافية البرية في شرح الذهبية أنه بحث عن هذا الشرح بحثا متصلا ولكنه لم يجده.

----

(١) نقلا عن مقدمة محمد مهدي السيد حسن الخرسان: طب الإمام الرضا، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٧.

٣ – ابن محمد هاشم الطبيب له شرح على الذهبية باللغة الفارسية. وقد قدم الشرح والأصل للشاه سليمان الصفوي.
٤ – المولى محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١ ه. وقد شرح الرسالة في كتابه الجامع بحار الأنوار. وقد أطنب في مدحه محمد بن محمد صالح الشيرازي صاحب عافية البرية في شرح الذهبية.
٥ – محمد شريف بن محمد صادق الخواتون آبادي.. له شرح على الرسالة الذهبية. وقد ذكر ذلك في كتابه حافظ الأبدان.
٦ – المولى السيد عبد الله شبر المتوفى سن ١٢٤٢ ه له شرح على الذهبية.
٧ – المولى محمد بن الحاج محمد حسن المشهدي المدرس بالمشهد (طوس) المتوفى سنة ١٢٥٧ ه له شرح على الذهبية أورده بتمامه تلميذه نوروز علي البسطامي في كتابه (فردوس التواريخ) وقد طبع الشرح مستقلا باسم الفوائد الرضوية سنة ١٣١٥ ه، كما أن نوروز البسطامي له شرح آخر على الذهبية.
٨ – السيد شمس الدين محمد بن محمد بديع الرضوي المشهدي (نسبة إلى مشهد وهي طوس) له شرح على الذهبية. فرغ من تأليفه سنة ١١٢٥ ه.
٩ – المولى محمد بن يحيى له شرح الذهبية باللغة الفارسية.
١٠ – الحاج مرزا كاظم الموسى الزنجاني المتوفى سنة ١٢٩٢ ه له شرح على الذهبية سماه (المحمودية).
١١ – السيد نصر الله الموسوي الأرومي له شرح على الذهبية بالفارسية سماه (الطب الرضوي).
١٢ – المولوي مقبول أحمد له شرح اسمه (الذهبية في أسرار العلوم الطبيعية) باللغة الأوردية وقد طبع بحيدر أباد.
١٣ – السيد محمود الده سرخي له كتاب سماه مفاتيح الصحة جمع فيه طب النبي صلى الله عليه وسلم وطب الأئمة والرسالة الذهبية مع شرح يسير باللغة الفارسية. وقد طبع
بالنجف سنة ١٣٧٠ ه.
١٤ – السيد ميرزا علي إمام جمعة التفرشي له شرح على الذهبية باللغة الفارسية.

١٥ – السيد حسين بن نصر الله بن صادق الأرومي الموسوي له كتاب (ترجمة الموسوي في الطب الرضوي) شرح فيه الرسالة الذهبية.

١٦ – د. السيد صاحب زيني: شرح الرسالة الذهبية وتناول جوانبا منها على ضوء العلم الحديث وقد طبع ببغداد في سلسلة ملتقى العصرين ١٩٥٣ م.

١٧ – ميرزا محمد هادي بن ميرزا محمد صالح الشيرازي (محمد بن محمد بن صالح الشيرازي المعروف بالهادي) له شرح واسع باسم عافية البرية في شرح الذهبية ألفه وأهداه للسلطان حسين الصفوي. وتوجد من المخطوط نسخة في المدرسة الأحمدية بالموصل بالعراق، برقم ٥٩١، كتبها الملا بن حسين علي النويري ١١٢١ ﻫ في ٤٣٠ ورقة بخط نسخي وفي كل ورقة ١٥ سطرا. والورقة ١٤ X ٢٠ سم وبها مقدمة طويلة ويليها فهرس الكتاب وعلى هوامشها عناوين للموضوعات وبعض الشروح لما جاء بالمتن.

وهناك نسخة مشابهة لها توجد في مكتبة الأوقاف بالموصل (١) وأولها بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله الحكيم الذي قدر في طب رضاه عافية البرية (٢)، وصور تشريح السماوات من أشعة النيرات بخطوط ذهبية، وبين خلق الانسان وأصول تراكيب الأبدان موجزا من قانون حكمته الباهرة تذكرة لأولي الألباب وأوضح من شامل لطفه وكامل صنعه حدود الأمراض النفسانية والجسمانية ودستور علاجها أيضا عافية غنية وكفاية بالعلامات والأسباب. نسألك اللهم بجوامع ألطافك الشافية دواء الآلام وشفاء الأسقام وترويح الأرواح وتيسير النجاح وبرء الساعة وقوة الطاعة. يا من طاعته مفتاح الشفاء وتدارك الخطاء....).

---

(١) لقد قام الزميل الأستاذ الدكتور محمود الحاج قاسم محمد صاحب الأبحاث والكتب الكثيرة في تاريخ الطب عند المسلمين بالتكرم بإرسال صورة كاملة من المخطوطة الموجودة بمكتبة الأوقاف بالموصل.

(٢) كثيرا ما يستخدم المؤلف المحسنات البديعية من جناس وطباق وكناية وقد قصد هاهنا بقوله في طب رضاه أي طب الإمام الرضا وجعل فيه عافية البرية.. وقد سمى المؤلف رسالته أيضا عافية البرية.. وكذلك قوله من أشعة النيرات بخطوط ذهبية إشارة إلى الرسالة الذهبية التي أمر المأمون بكتابتها بالذهب. ولهذا سميت الرسالة الذهبية.

وينتهي المخطوط بالعبارة التالية:
(فرغت بحمد الله من تحرير هذا الكتاب الذي هو عجب العجاب، ولب اللباب، ومقصد أولي الألباب، الموسوم بعافية البرية في شرح الذهبية، نقلا من خط مؤلفه الفاضل الشارح، الذي كوكب الفضل من عبارته ساطع لائح أيده الله وأبقاه وصانه من كل سوء.. وأنا أحوج الورى إلى الله الغني، الملا ابن حسين النيريزي عبد العلي. وكان ذلك ضحوة يوم الأحد الثالث شهر المرجب من شهور سنة ١١٢١ (ه) في المدرسة السنية السلطان حسينية. من مدارس دار السلطنة، أصبهان، صينت عن الحدثان.
وفي آخر صفحة مكتوب تاريخ تأليف الكتاب لمؤلفه شعر باللغة الفارسية ثم ذكر السنة في أسفل الصفحة سنة ١١١٧ ه.
وذلك يدل على أن المؤلف كان حيا أثناء كتابة الناسخ الملا بن حسين النيريزي عبد العلي سنة ١١٢١ ه حيث دعا الناسخ للمؤلف بطول البقاء وبالتأييد والصيانة من كل سوء.
وهذه النسخة موجودة برقم ٣٧٧٤ - ٣٧٧٥ مكتبة الأوقاف العامة بالموصل في ٤١٥ ورقة. وكل ورقة تشمل صفحتين وكل صفحة ١٥ سطرا وكل سطر فيه حوالي ١٤ - ١٥ كلمة، بخط نسخ،
١٨ - السيد محمود الموسوي الده سرخي الأصفهاني: وضع شرحا مختصرا، بعضه بالفارسية للمفردات. وذلك ضمن كتابه رمز الصحة من طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة. دار الارشاد الاسلامي، ١٤٠٣ ه، الطبعة الثانية.
سبب تأليف هذه الرسالة وتسميتها بالرسالة الذهبية
ذكر محمد بن محمد صالح الشيرازي صاحب كتاب عافية البرية سبب تأليف هذه الرسالة وكذلك ذكرها السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان في مقدمته على كتاب طب الإمام الرضا.
ونقلا عن الشيخ المجلسي في بحاره وغيره عن موسى بن علي السلامي بسنده وعن هارون به موسى التلعكبري بسنده أن محمد بن جمهور القمي الذي

كان ملازما لأبي الحسن علي الرضا لخدمته وكان معه حين استقدمه المأمون من المدينة إلى خراسان وبقي معه حتى وفاته بطوس وكان المأمون ذات يوم في مجلسه في نيسابور (١). وفي المجلس أبو الحسن علي الرضا وجماعة من المتطببين والفلاسفة مثل يوحنا بن ماسويه (٢) وجبريل بن بختيشوع (٣) وصالح بن بهلة الهندي (٤)، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر، فجرى ذكر الطب وما فيه صلاح الأجسام وقوامها. فأغرق المأمون ومن بحضرته في الكلام وتغلغلوا في علم ذلك، وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة

---

(١) نيسابور: مدينة تعتبر من أمهات مدن خراسان وهي الآن في إيران. وقد أخرجت ما لا يحصى كثرة من العلماء ويكفيها فخرا أنها أخرجت الإمام مسلم القشيري صاحب صحيح مسلم والحاكم النيسابوري صاحب المستدرك.

(٢) يوحنا بن ماسويه الطيب النصراني السرياني: كان الرشيد ولاه ترجمة الكتب الطبية القديمة، قال القفطي: وكان ملوك بني هاشم (العباسيون) لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته، ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ود. محمود الحاج قاسم في كتابه الطب عند العرب والمسلمين (الدار السعودية جدة) ص ٦٦ - ٦٧. وجعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة سنة ٢٢٥ ه / ٨٣٠ م، توفي في سامرا سنة ٢٤٣ ه / ٨٥٧ م. وترجم بعض كتب الطب من السريانية إلى العربية منها كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه ألفه للمأمون.

(٣) جبريل بن بختيشوع: من النساطرة السريان الذين ظهروا في جنديسابور في مطلع الخلافة العباسية وظهر منهم عدد كبير من الأطباء الذين قربهم العباسيون ابتداء من المنصور العباسي الذي جعل جورجيوس بن جبرائيل طبيبه الخاص ثم قام ولده وحفيده جبريل بتطبيب هارون الرشيد وولديه الأمين والمأمون. توفي جبريل سنة ٢١٣ ه / ٨٢٨ م وله كتاب الباه ورسالة في الطعام، وكناش في الطب.

(٤) صالح بن بهلة الهندي: طبيب هندي حسن الإصابة فيما يعانيه، أسلم وحسن إسلامه، وظهر أيام الرشيد وقد ذكره ابن أبي أصيبعة وترجم له كما ترجم له محمد بن محمد الشيرازي صاحب عافية البرية وذكر قصة طريفة توضح مقدرته. فقد وقع جبريل بن بختيشوع في خطأ عندما رأى إبراهيم بن صالح (ابن عم الرشيد) وهو في مرض خطير وقال للرشيد إنه متوفى.. فلما كان وقت صلاة العشاء نعي إلى الرشيد وبدأ الخدم في تجهيزه للدفن فوقف صالح بن بهلة الهندي وطلب رؤيته ووخزه بإبرة في ظفره فتحرك إبراهيم بن صالح فصاح ابن بهلة: الله الله يا أمير المؤمنين فوالله ما مات ابن عمك وتدفنه حيا. ودخل على إبراهيم بن صالح وفي حضرته الرشيد وأدخل الأبرة بين ظفر إبهام إبراهيم فجذب إبراهيم يده. وأمر بفك الحنوط والكفن وإلباسه ثيابه وعالجه حتى برأ وتكلم. فحظي عند الرشيد.

من الطبائع الأربع، ومضار الأغذية ومنافعها وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل. قال - القمي - وأبو الحسن ساكت لا يتكلم في شئ من ذلك. فقال له المأمون: (ما تقول يا أبا الحسن في هذا الامر الذي نحن فيه اليوم، والذي لا بد منه، من معرفة هذه الأشياء، والأغذية النافع منها والضار، وتدبير الجسد)؟

فقال أبو الحسن (الرضا): (عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام مع ما وفقني عليه من مضى من السلف مما لا يسع الانسان جهله ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته.

قال محمد بن جمهور القمي: (وعاجل المأمون الخروج إلى بلخ (١) وتخلف عنه أبو الحسن (علي الرضا) عليه السلام. وكتب المأمون إليه كتابا ينجزه ما كان ذكره مما يحتاج إلى معرفته على ما سمعه منه وجربه من الأطعمة والأشربة، وأخذ الأدوية والفصد والحجامة والسواك والحمام والنورة والتدبير في ذلك، فكتب الرضا إليه تلك الرسالة المسماة بطب الرضا فلما وصلت إلى المأمون قرأها وسر بها كثيرا وأمر بكتابتها بالذهب وأن تحفظ في خزانة الحكمة وسماها الرسالة الذهبية أو الرسالة المذهبة. وكتب بخط يده جوابا للإمام علي الرضا يقرض فيه تلك الرسالة ويشكره عليها.

رسالة المأمون إلى الإمام علي الرضا وتقريضه للرسالة المذهبة

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله أهل الحمد ووليه، وله آخره وبدؤه، ذي النعم والافضال والاحسان والاجمال. أحمده على نعمه المتظاهرة، وفواضله وأياديه المتكاثرة والمتواترة، وأشكره على منحه ومواهبه، شكرا يوجب زيادته ويقرب زلفى،

---

(١) بلخ من أمهات مدن خراسان وهي الآن أطلال في شمالي أفغانستان وتقع بالقرب منها مدينة مزار شريف التي يزعم أهل تلك المنطقة أن فيها قبر الإمام علي بن أبي طالب. وهي ولاية من ولايات التركستان الأفغانية. وقد أخرجت بلخ مئات العلماء وأفردنا لبلخ ومن خرج منها من الأكابر فصلا ضافيا في كتابنا أفغانستان من الفتح الاسلامي إلى الغزو الروسي (دار العلم، جدة ١٩٨٥) ص ٣٨٥ - ٤٤٦.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مخلص له الايمان، غير جاحد ولا منكر له بربوبيته ووحدانيته، بل شهادة تصدق نسبته لنفسه وأنه كما قال عز وجل: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد). وكذلك ربنا عز وجل. وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله خاتم النبيين.

أما بعد، فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب، والفاضل الحبيب، والمنطقي الطبيب، في إصلاح الأجسام وتدبير الحمام، وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام، ووجدتها في أفضل الانعام، ودرستها متدبرا، ورددت نظري فيها متفكرا، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظا، وتدبرتها فهما، إذ رأيتها من أنفس العلائق، وأعظم الذخائر، وأنفع الفوائد، فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها، وحسن موقعها، وعظم نفعها، وكثرة بركتها. وسميتها المذهبة، وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة، لأن بتدبير الأغذية تصلح الأبدان، وبصحة الأبدان تدفع الأمراض، وبدفع الأمراض تكون الحياة، وبالحياة تنال الحكمة، وبالحكمة تنال الجنة.

وكانت أهلا للصيانة والادخار وموضعا للتأهيل والاعتبار، وحكيما يعول عليه، ومشيرا يرجع إليه، ومن معادن العلم آمرا وناهيا ينقاد له، ولأنها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم الرسول المصطفى وبلاغات الأنبياء، ودلائل الأوصياء وآداب العلماء، وشفاء للصدور والمرضى من أهل الجهل والعمى، رضوان الله عليهم ورحمته وبركاته أولهم وآخرهم وصغيرهم وكبيرهم.

فعرضتها على خاصتي، وصفوتي من أهل الحكمة والطب، وأصحاب التأليف والكتب المعدودين في أهل الدراية، والمذكورين بالحكمة.. وكل مدحها وأعلاها، ورفع قدرها وأطراها، إنصافا لمصنفها، وإذعانا لمؤلفها، وتصديقا له في ما حكاه فيها. فمن وقعت له هذه الرسالة من بعدنا من أبنائنا وأبناء دولتنا ورعايانا وسائر الناس على طبقاتهم، فليعرف قدرها، والموهبة لها، وتمام النعمة عليه، وليأخذها بشكر، فإنها أنفس من العقيان، وأعظم خطرا من الدر

والمرجان، وليستعمل حفظها وعرضها على همته وفكره ليلا ونهارا فإنها عائدة إليه بالنفع والسلامة من جميع الأمراض والاعراض إن شاء الله تعالى، وصلى الله على رسوله محمد وأولاده الطيبين الظاهرين أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

قيمة الرسالة العلمية والتاريخية

تتضح قيمة هذه الرسالة في الطب في مجموعة من الحقائق نوجزها كالآتي:

١ - أنها ظهرت في عصر المأمون الذي يعتبر العصر الذهبي لما يسمى بعلوم الحكمة والفلسفة وحيث بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها. وفي تلك الفترة أسس المأمون بيت الحكمة واشتغل مجموعة كبيرة من السريان وبعض العرب بترجمة الكتب العلمية المتعلقة بالطب والنبات والحيوان والفلك والجغرافيا والحساب والرياضيات.. إلخ من اليونانية والسريانية، وفي بعض الأحيان اللغة الهندية والفارسية إلى اللغة العربية. وكان يرأس فريق المترجمين حنين بن إسحاق..

وتولى يوحنا بن ماسويه رئاسة بيت الحكمة.. كما اشتهرت عائلة بختيشوع وكلمة بخت تعني العبد ويشوع المقصود بها عيسى عليه السلام.. وهذه العائلة من نصارى السريان في جنديسابور وقد ظهر منها عدد كبير من الأطباء الذين خدموا الخلفاء العباسيين ونالوا لديهم الحظوة. وأولهم كان جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي عمل طبيبا خاصا للخليفة المنصور العباسي وخلفه ولده بختيشوع بن جورجيوس وعمل لدى الرشيد حتى توفي سنة ١٨٢ ه / ٧٩٨ ثم تلاه جبرائيل بن بختيشوع الذي التحق بخدمة الرشيد ثم الأمين ثم المأمون.

وتوفي سنة ٢١٣ ه. وله بعض المؤلفات مثل كتاب الباءة ورسالة في الطعام وكناش في الطب. وكان مقربا لدى الخلفاء العباسيين.. وكتبه عبارة عن ترجمة من الكتب اليونانية والسريانية.. وكان معاصرا للإمام علي الرضا.

واشتهر في هذا العصر أيضا صالح بن بهلة الهندي الطبيب الحاذق ولكن لم يذكر له مؤلفات.

وكان المأمون واسع الاطلاع عالما بمختلف فنون المعرفة في عصره وخاصة ما

يسمى بعلوم الحكمة مثل الطب والفلك والرياضيات.. وله مقدرة على المشاركة في مجالس العلماء والحكماء والفلاسفة الذين كانت تزدان بهم مجالسه.

وقد أوضحت رسالة المأمون وتقريضه لرسالة الرضا في الطب وكافة العلماء من أهل الدراية في الطب والحكمة والفلسفة الذين كان يعج بهم قصره ومجلسه، واعترافهم بفضل كاتبها، وأمره بكتابتها بالذهب وتسميتها بالرسالة المذهبة، الدليل على تلك المكانة العظيمة التي تبوأتها رسالة الإمام علي الرضا في الطب في ذلك العصر.

٢ – تتميز هذه الرسالة بأنها أول رسالة في الطب يكتبها عربي مسلم.. ولم تكتب قبلها سوى رسائل مترجمة من اليونانية والسريانية وكلها قام بها نصارى من السريان مثل أسرة بختيشوع وعائلة ماسويه أو من نصارى العرب مثل حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين العبادي ومثل ثابت بن قرة الحراني (وحران في سوريا وقد خرج منها ابن تيمية فيما بعد). وإن كان ثابت بن قرة قد ظهر في القرن الثالث الهجري (توفي سنة ٢٨٨ ه) وابنه سنان الذي عاش إلى القرن الرابع الهجري.

وإذا علمنا أن الرضا توفي سنة ٢٠٣ ه وأنه كتب هذه الرسالة عندما استقدمه المأمون من المدينة إلى خراسان (أي أنها كتبت في حدود سنة ٢٠٠ ه) وقد كتبها بطلب المأمون عندما تذاكروا في الأغذية والأدوية والأبدان في أحد مجالس المأمون في نيسابور.. وكان المجلس يضم كبار الأطباء في ذلك العصر وهم جبريل بن بختيشوع ويوحنا بن ماسويه وصالح بن بهلة الهندي.. وغيرهم من أهل الفلسفة والحكمة والطب.. وقد اعترفوا جميعا للرضا بتقدمه وفضله. وبأهمية هذه الرسالة وقرضوها جميعا كما ذكر ذلك المأمون في رسالته التي نقلت نصها.

ولا تعتبر هذه أول رسالة في الطب يكتبها مسلم فحسب، بل تعتبر أول رسالة في الطب تؤلف في التاريخ الاسلامي.. حيث أن ما كتب قبلها لا يعدو ترجمات من كتب اليونان والسريان الطبية.

وهذه الرسالة تختلف عن كل ما كتب أنها ضمت معلومات الإمام الرضا

الطبية التي استفادت بدون شك من طب اليونان ولكنها أضافت إليها ما أخذه الامام عن أبيه عن جده، وما استفاده من كلام جده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كما أنها تضم أيضا ما استفاده الإمام الرضا من علوم آبائه موسى الكاظم، وجعفر الصادق ومحمد الباقر وعلي زين العابدين والامام السبط الحسين والإمام علي بن أبي طالب.

ولم يكتف الإمام الرضا بذلك كله ولكنه أضاف إليها تجاربه الشخصية ومعارفه الذاتية..

واستطاع بعد ذلك كله أن يوجز هذه المعلومات إيجازا بليغا في ١٤ صفحة فقط (من المطبوع من القطع الصغير).. ومع هذا فقد شرحها العلماء والحكماء في مئات الصفحات ومثال ذلك شرح محمد بن محمد صالح الشيرازي المسمى عافية البرية الذي بلغ ٤١٥ ورقة.

٣ - تتميز هذه الرسالة بأنها كتبت في موضوع واحد محدد هو حفظ الصحة. وكيفية تدبير الغذاء والحمام في مختلف فصول السنة وما يناسب الانسان من الأطعمة ومقدارها والرياضة والنكاح وكيفية الاعتدال في ذلك كله.. وذكر أهمية السواك وتحدث عن أهمية استخدام الأدوية حين الحاجة إليها وخاصة الحجامة والفصد وأوقاتهما. وتحدث عن مراحل عمر الانسان وما يصلح لكل مرحلة. ومقدار النوم الذي يحتاجه في كل مرحلة من هذه المراحل.. وفي أثناء ذلك كله يبث معلوماته بإيجاز شديد وبيان واضح جلي عن التشريح وعلم وظائف الأعضاء ويستدل بالأحاديث النبوية دون أن يذكر سندها. وفي الغالب يشير إلى معنى من معانيها دون أن يذكر متنها.. وينبه المأمون إلى ما ينبغي أن يفعله في الحضر والسفر وفي اختلاف فصول السنة ويذكر ذلك فصلا فصلا وشهرا شهرا بالتقويم الشمسي مبتديا بشهر آذار (مارس) ومنتهيا بشهر شباط (فبراير).. وينهي الإمام الرضا رسالته بذكر مراحل العمر ويقسمها إلى أربع مراحل:

مرحلة البناء وبداية الشباب إلى سن خمس عشرة سنة.

ومرحلة القوة وغلبة المرة الصفراء من سن ١٥ إلى سن ٣٥ سنة.

ومرحلة الحكمة والمعرفة وصحة النظر وفيها غلبة المرة السوداء وتبدأ من
سن ٣٥ سنة.
ثم تبدأ المرحلة الرابعة التي يتحول فيها إلى الهرم والنقص ونكد العيش
وذبول الجسم حتى ينام عند القوم ويسهر عند النوم.. وفيها غلبة المادة البلغمية.

الباب الرابع
المدخل إلى فهم كتب الطب القديم
وكتب الطب النبوي

لا بد لفهم أي كتاب قديم في الطب أن نفهم النظرية والأسس التي بني عليها ذلك الطب. ولذا فإن قراءة أي كتاب من كتب التراث الطبي أو حتى الكتب المسماة باسم الطب النبوي مثل كتاب ابن القيم وكتاب الذهبي وكتاب الموفق البغدادي وكتاب ابن طرخان وكتاب السيوطي والرسالة الذهبية للإمام علي الرضا، لا يمكن أن تفهم على وجهها ما لم تفهم النظرية الفلسفية التي تكمن خلف التقسيمات والألفاظ المتكررة مثل الطبائع الأربع والأمزجة الأربعة والعناصر الأربعة.

ورغم أن الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالطب بعيدة كل البعد عن هذه النظرية اليونانية إلا أن كل من كتب من القدماء في الطب النبوي تأثر بمعلومات عصره واستخدم هذه النظرية المبنية على وجود عناصر أربعة وطبائع أربع وأمزجة أربعة. وليس بدعا إذن أن يستخدم الإمام علي الرضا مفهوم العناصر الأربعة والطبائع الأربع والأمزجة الأربعة في كتابه (الرسالة الذهبية).

والغريب حقا أن يكون الإمام الرضا قد هضم هذه النظرية هضما جيدا في وقت مبكر جدا (في حدود سنة ٢٠٠ ه) وذلك قبل أن تظهر ترجمات واضحة لهذه الفلسفات الإغريقية.

صحيح أن عصر الترجمة بلغ أشده في عصر المأمون وهو العصر الذي عاش فيه الرضا، لكن مع ذلك لم تأخذ هذه النظريات الطابع المعروف لدى المثقفين في ذلك الوقت إلا بعد أن قام الرازي (٢٥٠ – ٣١٣ ه) والفارابي (المتوفى ٣٣٩ ه)

بكتابة هذه النظريات وشرحها للمثقفين في عصرهما.
وذلك يعني ببساطة أن الإمام الرضا كان على اطلاع واسع منذ وقت مبكر جدا بما يتم من ترجمات لفلسفة الإغريق وطبهم.

كتاب المدخل الصغير إلى علم الطب للرازي:

وقد كتب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، أحد أشهر أطباء المسلمين وأعلاهم قدرا، كتابا صغيرا سماه (المدخل الصغير إلى علم الطب) (١) وهو كتاب لا بد لمن يريد أن يتعلم الطب في تلك الأزمنة من قراءته وفهمه وتدبره.

وقد لخص فيه الرازي تلخيصا جيدا النظريات الفلسفية الإغريقية في خلق العالم واتبع في ذلك فلسفة أرسطو وأفلاطون واهتم بصفة خاصة بنظرية الفيض التي جاء بها أفلوطين.

خلاصة النظرية اليونانية في خلق العالم وتكوين العناصر بعد تعديلها لتوائم التفكير الاسلامي:

وخلاصة هذه النظرية أن الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء على مراحل متعددة (فأول ما أبدع الباري عز وجل الأنوار المضيئة وهي الجواهر البسيطة والأنوار الروحانية التي هي أول الحركات وعنصر الكائنات).

والنور ينقسم إلى قسمين: بسيط لا تدركه الحواس، مخصوص بأعلى العالم. ومركب وهو محسوس وموجود في أسفل العالم.

ومن النور البسيط الذي لا تدركه الحواس خلق الله العقل ومن العقل خلق النفس الناطقة ومن النفس الناطقة خلق النفس الحيوانية ومن الحيوانية خلق النفس الطبيعية الخامدة، وصارت جسما!!.

ومن النفس الطبيعية الخامدة خلق المولى تبارك وتعالى الطبائع البسيطة الأربع وهي: الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة. وهي أصل تكوين كل

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي: المدخل الصغير إلى علم الطب، تقديم وتحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد، دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٩٧ ه / ١٩٧٧ م.

الأشياء الجسمانية. وأبدع المولى من هذه الطبائع البسيطة الأربع، العناصر الأربعة وهي مركبة هكذا.

١ - ازدوج البرد مع الرطوبة فصار ماء. ولذا كان الماء أول المخلوقات الجسمانية والعناصر الأرضية.

٢ - ازدوجت الحرارة مع اليبوسة فصارت نارا.

٣ - وارتفعت النار لخفتها ورسب الماء لثقله سفلا فصار بينهما تضاد وتباعد ونتج عن هذا التضاد والتباعد الهواء.

٤ - وحرك الباري الهواء بقدرته فصار ريحا. وحرك الريح الماء حتى تلاطمت أمواجه وأرغى زبده. وصار الزبد طبقات بعضها فوق بعض، فجمد بالقدرة وصار ترابا وأرضا.

فهذه هي العناصر الأربعة: الماء والنار والهواء والتراب، ولكل منها صفات:

فالماء بارد رطب ثقيل سيال، والنار حارة يابسة خفيفة، والهواء حار رطب لطيف والتراب (الأرض) بارد يابس ثقيل.

الأمزجة الأربعة في جسم الانسان:

وفي جسم الانسان تمثيل لهذه الطبائع الأربع والعناصر الأربعة، وهي الأمزجة الأربعة: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء. ولكل واحد منها صفات ومكان ينبع منه ولها تأثير على مزاج الانسان وحركته وسكونه.

ونفصل ذلك فيما يلي:

١ - الدم: وهو سكن الرطوبة والحرارة وينبوعه الكبد. ومكانه العروق (الأوعية الدموية) وسلطانه في سطح البدن ومقدم الرأس. والذي يلحق النفس من أعراضه: قوة الشهوة للنساء مع غزارة الجماع وغزارة الشعر ونعومته، وكثرة الدم، وخاصية طبعه في المعدة سرعة الهضم وسهولته ونفوذ الغذاء وتغيره وإجادته وإحالته إلى جوهر الدم واللحم.

وصاحب الطبع الدموي Sanguineous Temperament قوي الشكيمة، كثير الحركة، سريع الغضب. وخلق الله عز وجل كما يقول الرازي اللحم والدم والعصب والعروق والقلب والصدر والكلى والأنثيين (الخصيتين) والعضلات واللسان واللوزتين واللهاة من جوهر الدم. وكذلك ما كان رطبا من الجلد.

٢ - البلغم Phlegm: وهو سكن البرودة والرطوبة. وخلق الله (كما يقول الرازي) الدماغ والرئة، وكل ما في البدن من الأعضاء الباردة والرطبة من البلغم... فجميع ما نتعارف اليوم عليه بأنه الجهاز العصبي مخلوق حسب هذه النظرية من البلغم وكذلك الجهاز التنفسي لأن من القصبات الهوائية والأنف يخرج البلغم (النفث والبصاق). والبلغم قسمين: قسم من الدماغ وهو ينصب كما ينصب الندى من الجو وسلطانه في مؤخر الصدر وتجتمع أثقاله في مغارة الصلب والظهر كما يقول الرازي.

وقسم من الرئة ويطفو من الرئة إلى أعلى حتى يخرج من الحلق والأنف.

ويلحق النفس من أعراضه (المزاج البلغمي) Phlegmatic Temperament وعلاماته: العجز والكسل والفتور والثقل والنسيان وإبطاء الجواب والسكون وقلة الحركة والحلم واللين. ويلحق الجسم من أعراضه: السعال وقلة الشهوة للنساء والسلاسة، والارتعاش والفالج (الشلل) وخاصية طبعه في المعدة: تزيد الوهج الكائن عند مرارة الأغذية والأشربة والأدوية وسائر المواد الواردة على البدن. وذلك أن المعدة تتقوى به إذا هو شكلها كما يتقوى النظر بالنظر والجنس بالجنس.

ومسكن البلغم في الرئة. ويتصل برده بنسيم الآناف (جمع أنف) الداخل من الحلق على أنابيب الرئة ثم توصله إلى القلب، إذ هي متصلة به. فيستريح بذلك القلب ويندفع عنه حدوث الحرارة الدخانية (النابعة من جوهر الدم) وتنتبه بذلك قوى النفس والحرارة الغريزية.

٣ - المرة الصفراء Yellow Bile: المرة الصفراء حارة يابسة نارية وتفرز من

الحويصلة المرارية Gall Bladdes وهي لاصقة بالكبد لتعين الكبد على طبخ الطعام.
وجعل الله سلطان المرة الصفراء في اليافوخ Fontanelle، لخفتها ولطافتها وارتفاعها. والأذنان من قسمتها وطبعها.
ولها من البدن ما هو حار ويابس وهي تجري مع الدم لازدواجها ومشاكلتها له كالدهن للسراج. ومن خاصية طبعها في المعدة هضم الطعام وطبخه وكذلك حكمها في الكبد.
ويلحق النفس من أعراضها المزاج الصفراوي Bilious Temperament وعلاماته: الحدة والطيش والضجر واللطافة والذكاء والنباهة والشجاعة والاقدام وشهوة النساء والحيطة وسرعة الجواب وكثرة الكلام والحركة. وتطلق لفظ Bilious في اللغة الإنجليزية على الشخص الضجر السئم المتشائم. وكذلك تطلق على من يشعر بالغثيان والضيق (١).
ويلحق الجسم من أعراضها كل ما ظهر من دلائل الحار واليابس ولها في المعدة والكبد والأمعاء خاصية العون على نضج الطعام وهضمه.
٤ - المرة السوداء: (Black Bile) Melancholy: مكونة من الأرض ومسكنها الطحال وسلطانها في البصر من الجانب الأيسر من البدن. وبها يكون الصمت والتفكير والحزن والثقل والابطاء والتثبت والنظر في العواقب. ولها من المعدة خاصية الدفع وإمساك الطعام وانتباه الشهوة.
ومنها المزاج السوداوي Melancholic Temperament والمقصود به الكئيب الحزين المتشائم المنقبض المسبب للكآبة. ومنه كلمة الملانخوليا Melancholia وهي حالة سوداوية قد تعتري الانسان وتسبب له كآبة شديدة ويكون ذلك مصحوبا ببعض الهلوسات السمعية والبصرية والاعتقادات الزائفة مع آلام متوهمة في الجسم ولا يزال هذا الاسم يستخدم في الطب النفسي إلى اليوم وفي لغة

---

(١) قاموس وبستر Webster New Collegiate Dictionary وقاموس المورد لمنير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت.

البشر. ويسميها العامة المناخوليا ويقصدون بها الجنون... وفي كلامهم بعض الصحة. والمقصود به نوع من الذهان المصحوب بكآبة شديدة مع نوع من الجنون Manic _ depressive Psychosis (١) أو بعض حالات الشيزوفرينا.

باختصار هناك طبائع أربع وهي:

الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وهناك عناصر أربعة صدرت عن تفاعلها وهي:

الماء والنار والهواء والتراب.

ولهذه الطبائع والعناصر تمثيل في جسم الانسان وهو ما يعبر عنه بالأمزجة الأربعة Four Humors، or Temperaments) وهي:

المرة الصفراء (حارة ويابسة).

المرة السوداء (باردة ويابسة).

البلغم (بارد ورطب).

الدم (حار ورطب).

خصائص الأمزجة ومراحل العمر:

ولكل واحد من هذه الأربعة خصائص... وهي جميعا موجودة في جسم الانسان، فإذا اعتدلت هذه الطبائع أو الأمزجة الأربعة كانت الصحة وإذا انحرفت بزيادة أو نقصان أو تغلب أحدها على الآخر كان المرض.

وتكون وظيفة الطبيب هي تعديل هذه الطبائع أو الأمزجة حتى تعود لسابق عهدها.

وتنقسم مراحل عمر الانسان إلى أربعة مراحل وفي كل مرحلة من هذه المراحل تكون الغلبة لأحد هذه الأمزجة كالآتي:

ففي سن الشباب والطفولة تكون الغلبة للدم حيث تتكون الأعضاء الدموية ويكثر النشاط ويعمل الكبد (مركز الدم) بهمة ونشاط، ويكون الاندفاع وعدم التروي.

---

(١) انظر المصدر السابق.

وفي سن الرجولة (١٥ – ٣٥) تظهر الغلبة للمرة الصفراء وفيها حدة الفهم والذكاء والشجاعة والحيطة.
وفي سن الكهولة (٣٥ – ٥٥) تظهر الغلبة للمرة السوداء: وفيها الصمت والتفكير والتثبت والنظر في العواقب.
وفي سن الشيخوخة (ما بعد الخامسة والخمسين إلى أرذل العمر) تكون الغلبة للبلغم وعلاماته العجز والفتور والثقل والنسيان والسكون والحلم واللين.
وتحتوي الأطعمة والأشربة على هذه العناصر الأربعة أيضا فبعضها يغلب عليه الحرارة ويسمى حارا، وبعضها يغلب عليه البرودة ويسمى باردا، وهكذا... ولهذا وجب تعديل الطعام بحيث يكسر الحار البارد والعكس... وبحيث يناسب كل سن وكل فصل من فصول السنة لأن فصول السنة أيضا تتبع العناصر الأربعة والطبائع الأربع، والطبيب الماهر هو الذي يعطي لكل حالة لبوسها فطعام المريض غير طعام الناقة، وطعام الصحيح غير طعام السقيم، وطعام الرضيع غير طعام الفطيم وهكذا... وطعام الانسان في السفر غير طعامه في الحضر... وطعامه أثناء فصل الربيع ينبغي أن يختلف عن طعامه أثناء فصل الخريف... وطعامه في الصيف لا بد أن يختلف عن طعامه في الشتاء.
ولهذا عقد الإمام علي الرضا فصلا لموضوع الغذاء في رسالته وقال للمأمون: (واعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحدة من هذه الطبائع يحب ما يشاكلها فاغتذ ما يشاكل جسدك.
ومن أخذ من الطعام زيادة لم يفده، ومن أخذ بقدر لا زيادة عليه ولا نقص نفعه.. واعلم يا أمير المؤمنين: كل البارد في الصيف والحار في الشتاء والمعتدل في الفصلين (أي الربيع والخريف لاعتدالهما) على قدر قوتك وشهوتك.. وابدأ بأول الطعام بأخف الأغذية التي تغتذي بها بدنك..)
ثم ذكر بعد ذلك فصول السنة وأشهرها شهرا شهرا بالتقويم الشمسي وابتدأ بشهر آذار (مارس) لأنه أول الربيع وذكر فيه ما ينبغي أن يؤكل فيه وما يجتذب من الطعام والدواء، ثم نيسان (إبريل) وهكذا حتى انتهى إلى شباط

(فبراير). وما يناسب كل شهر من غذاء وما لا يناسبه... وما يناسب كل شهر من أنواع النشاط الجسماني ودخول الحمام والجماع والرياضة وما لا يناسبه.. وكذلك الحجامة والفصد وأنواع الأدوية.

كلمة أخيرة: إن الطب الحديث والعلم الحديث قد ألغى فكرة العناصر الأربعة والطبائع الأربع والأمزجة الأربعة. واستبدلها بأمور أكثر تعقيدا بكثير مما كان يظن. والعناصر الأربعة لم تعد عناصر بل هي مركبات وحالات فالماء مركب والهواء مركب والتراب مركب والنار حالة تعتري المواد كلها وهي حالة الاحتراق بواسطة الأوكسجين..

وعدد العناصر قد جاوز المائة عنصر... والطبائع الأربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لم تعد أساسية وإنما هي تعبر عن درجة الحرارة (الحرارة والبرودة) التي يمكن أن تقاس بمختلف الأجهزة المعقدة والبسيطة (ميزان الحرارة الترمومتر) والرطوبة واليبوسة عبارة عن درجة وجود الماء في الأشياء فإذا زادت نسبة الماء زادت الرطوبة وإذا قلت النسبة كانت اليبوسة.

وما يسمى الأمزجة في جسم الانسان قد تغير مفهومه كثيرا. والدم سائل من سوائل الجسم... صحيح أنه يتكون في الكبد في أثناء نمو الجنين ولكن هذه مرحلة فقط من المراحل ثم يتكون في نقي العظام..

وأما الطحال فلا تفرز المرة السوداء كما يقولون بل تحطم خلايا الدم الحمراء التي انتهى أجلها.

وتفسيرات الدم والبلغم والمرة السوداء والصفراء مضحكة بالنسبة للطب الحديث... وأغلب ما ذكر في ذلك أثبت العلم خطأه وخطله. وقد يبقى منه فتات أو شذرات تصح منه الإشارات.

وتبدلت الحال وظهرت الهرمونات والمواد الكيمياوية المعقدة وظهر تأثيرها على جسم الانسان وعلى سلوكه كذلك. ومع هذا بقيت تعبيرات المزاج الصفراوي والمزاج السوداوي والمزاج الدموي والمزاج البلغمي في جميع اللغات الحية إلى اليوم.

ولهذا كله لا ينبغي حين نتعرض لكتب الطب القديم أن نفهمها أنها كتبت لعصرنا، فعصرنا يختلف في مفهوماته ومعلوماته وطبه عن عصور الأقدمين. وهذا كله لا يمنعنا أن ننظر إلى أعمالهم ونزنها بميزان عصرها لا بميزان عصرنا.

ولا ننكر أننا يمكن أن نستفيد من لفتة بارعة أو منهج تفكير نجده لدى القدماء وأهمله المحدثون.

فليس كل قديم لا نفع فيه، ولا كل جديد فيه الخير كله... بل قد يكون في الجديد ما يحتاج إلى معاودة النظر في قيمته، ولعله من الغثاء الذي ينبغي طرحه.. ولعل في القديم من الجواهر والدرر ما ينبغي الكشف عنه ومعاودة استخدامه وإن كان بأسلوب وطريقة مناسبة للعصر الذي نعيش فيه.

ورسالة الإمام علي الرضا تفتح لنا كثيرا من هذه الآفاق.. وقيمتها ليست فحسب في كونها أول رسالة في حفظ الصحة باللغة العربية، وإنما تكمن قيمتها أيضا في منهج مؤلفها الذي جمع فيها ما ورثه من طب النبوة عن آبائه وما تعلمه من طب اليونان ومزج ذلك كله مزجا فذا غريبا، وصاغه بلغة أدبية رائعة، واستطاع أن يوجز تلك المعلومات الكثيرة والمتباينة في ١٤ صفحة مطبوعة من الحجم الصغير.

إن هذه الرسالة الموجزة الصغيرة تحمل في طياتها علما كثيرا، استطاع الإمام علي الرضا أن يوجزه في صفحات قليلة تميزت بالدقة وسلاسة العبارة ووضوح المعنى.

وهو أمر عسير وشاق دون ريب، إذ إن الايجاز الشديد يقتضي في كثير من الأحيان غموض المعنى وصعوبة العبارة. ولا كذلك رسالة الرضا.

الباب الخامس
نص الرسالة الذهبية (١)
وشرح بعض مفرداتها والتعليق عليها

---

(١) اعتمدنا على كتاب السيد مهدي السيد حسن الخرسان: طب الإمام الرضا المسمى بالرسالة الذهبية من منشورات المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٦ ه / ١٩٦٧. وكتاب رمز الصحة في طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة، للسيد محمود الموسوي الده سرخي الأصفهاني، إصدار دار الارشاد الاسلامي ١٤٠٣ ه الطبعة الثانية (ص ٩٥ - ١٢٩). وفيها زيادة على ما في كتاب السيد مهدي الخرسان.

تبدأ الرسالة المطبوعة (تقديم السيد محمد مهدي الخرسان) المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٨٦ ه / ١٩٦٧ م بكلمة كتبها الناسخ جاء فيها بعد حمد الله تعالى:
علم الجفر:
(أما بعد. قال إمام الأنام غرة وجه الاسلام، مظهر الغموض بالرواية اللامعة، كاشف الرموز بالجفر (١) والجامعة، أقضى من قضى بعد جده المصطفى (٢)، وأغزى من غزى بعد أبيه علي المرتضى (٣)، إمام الإنس والجن -
.

---

(١) الجفر: من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر والجفر ولد الشاة. والأنثى جفرة. والجفر البئر الواسعة لم تطو ومنه جفر الهباءة: مستنقع ببلاد غطفان. والجفرة بالضم: سعة من الأرض مستديرة والجمع جفار، ومنه قيل للجوف جفرة. وفرس مجفر وناقة مجفرة: أي عظيمة الجفرة وهي وسطه. وجفر الفحل عن الضراب يجفر جفورا، وذلك إذا أكثر الضراب حتى حسر وانقطع وعدل عنه، والصوم مجفرة أي مقطعة للنكاح. وأجفرت ما كنت فيه تركته وأجفرت فلانا قطعته وتركت زيارته (الأصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري).
وعلم الجفر: يزعمون أنهم يعرفون به الحوادث، ويسمى أيضا علم الحروف. وقد سمي الجفر لأنه كتب ثم أودع في جلد جفر (أي ولد شاة أو معز). ويزعمون أن الإمام علي كرم الله وجهه كتبه، وأن الإمام جعفر الصادق استخرجه، وعلمه خاصة تلاميذه، وعنه اشتهر كما قيل. والله أعلم. وقال أبو العلاء المعري:
لقد عجبوا لأهل البيت لما
غدوا وعلومهم في جلد جفر
فمرآة المنجم وهي صغرى
تريه كل عامرة وقفر
وهو بذلك يؤكد علم الجفر هذا ويرد على من أنكره.
(٢) لم يتول الإمام علي الرضا القضاء، ولا شك في علمه ونزاهته. ولكن جده الامام عليا أقضى منه بلا ريب ثم هناك عدد من مشاهير القضاة من الصحابة والتابعين وغيرهم.
(٣) لم يعرف في سيرة الإمام علي الرضا أنه غزى، فهذه دعوى تحتاج إلى إثبات.
.

علي بن موسى الرضا – صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده إلى يوم اللقا.
وواضح أن ناسخ الرسالة وكاتب هذه الأسطر هو من الشيعة الإمامية الجعفرية، وإطنابه في وصف الإمام علي الرضا، على طريقتهم المعهودة.
وتبدأ رسالة الإمام علي الرضا دون ديباجة، كما هو معهود في مثل هذه الرسائل. ويرجع ذلك في رأينا إلى أن الديباجة قد حذفها الناسخ الامامي الشيعي لأن فيها مدحا للمأمون. والشيعة الامامية يبغضون المأمون ويزعمون أنه لم يقرب الرضا ويزوجه ابنته ويكتب له ولاية العهد إلا خديعة ويتهمونه بأنه هو الذي أمر بسم الإمام علي الرضا في قطف من عنب، وقد سبق أن ناقشنا هذه المزاعم وبطلانها فلا حاجة لإعادتها.
إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء:
تبدأ رسالة الرضا هكذا: (اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى لم يبتل عبده المؤمن ببلاء حتى جعل له دواء يعالج به، ولكل صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت (١).

---

(١) يشير الإمام علي الرضا بذلك إلى الأحاديث النبوية الواردة في هذا المعنى ولكنه لا يوردها بل يكتفي بالإشارة إليها. وهذه الأحاديث موجودة في كتب السنة والصحاح نذكر منها ما يلي نقلا عن كتاب الامام السيوطي: المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي بتحقيق الدكتور حسن المقبولي الأهدل وهي عنده برقم ٩ إلى ٢٤.

* أخرج البخاري (في كتاب الطب) والنسائي (في السنن الكبرى) وابن ماجة (في السنن) وأبو نعيم في الطب النبوي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك.

* وأخرج مسلم (في كتاب الطب) وابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن جابر رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله تعالى).

* وأخرج البزار (في مسنده) والحاكم (في المستدرك) وابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء علم ذلك من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت).

* وأخرج ابن ماجة (في سننه) والحاكم وابن السني وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله.

* وأخرج أبو داود (كتاب الطب من السنن) والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن ماجة وابن السني وأبو نعيم عن أسامة بن شريك رضي الله عنه. قال: (قالوا يا رسول الله. هل علينا من جناح أن لا نتداوى؟ قال: تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد، الهرم).

* وأخرج عبد بن حميد في مسنده وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تداووا فإن الله لم يخلق داء إلا خلق له شفاء إلا السام وهو الموت).

* وأخرج الحاكم (في المستدرك) وصححه، وابن السني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصيب رجل من الأنصار يوم أحد، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم طبيبين بالمدينة فقال: عالجاه.

فقالا: يا رسول الله إنما كنا نعالج ونحتال في الجاهلية، فلما جاء الاسلام فما هو إلا التوكل.

فقال: عالجاه، فإن الذي إنزل الداء أنزل الدواء، ثم جعل فيه شفاء) فعالجاه فبرأ.

* وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي خزامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله.

* وأخرج الحاكم وصححه عن صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال: قالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: تعلمن أن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير داء واحد قالوا: وما هو؟ قال: الهرم.

* وأخرج مالك في الموطأ وأبو نعيم عن زيد بن أسلم أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح فحقن الدم فدعا له رجلين من بني أنمار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكما أطب؟ فقال أحدهما: أو في الطب خير يا رسول الله؟ فقال: إن الذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواء) وهو حديث مرسل أرسله زيد بن أسلم المدني من كبار التابعين ثقة. وفاته سنة ١٣٦ ه بالمدينة.

* وأخرج أحمد (في مسنده) عن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا به جرح، فقال: ادعوا لي طبيب بني فلان فدعوه فجاء، فقالوا: يا رسول الله، ويغني الدواء شيئا؟ فقال: سبحان الله، وهل أنزل الله من داء في الأرض إلا جعل له شفاء.

* وأخرج ابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن هلال بن يساف. قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض يعوده فقال: أرسلوا إلى الطبيب فقال له قائل: وأنت تقول ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، لم ينزل الله داء إلا أنزل له دواء.

* وأخرج ابن السني وأبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا.

* وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعت الأدواء ونعت الدواء، وأن الله يشفي من شاء بما شاء.

* وأخرج ابن السني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال يا رسول الله: هل ينفع الدواء من القدر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدواء من القدر وهو تعالى ينفع من شاء بما يشاء). وفي لفظ أبي نعيم (وقد ينفع بإذن الله تعالى).

هذه ستة عشر حديثا أخرجها الامام السيوطي في كتابه الجامع المانع في هذا الصدد (المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي) الذي حققه الدكتور حسن المقبولي الأهدل).

وقد أشار إليها كلها الإمام علي الرضا بكلمته القصيرة (إن الله تعالى لم يبتل المؤمن ببلاء حتى جعل له دواء يعالج به. ولكل صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت) وهذه هي طريقة الرضا في رسالته الذهبية يوجز القول ويشير إشارات إلى الأحاديث النبوية دون أن يذكرها كما يشير إلى أقوال الأطباء دون أن يفصل أو ينسبها إلى أحد من الأطباء وقد يذكر تجاربه الشخصية في

عبارة موجزة.

(١٤٢)

وظائف الأعضاء ومثالها مثال الملك:
(وذلك أن الأجسام الانسانية جعلت على مثال الملك فملك الجسد هو القلب (١) والعمال العروق والأوصال والدماغ. وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد، والأعوان يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأذناه، وخزانته معدته وبطنه، وحجابه صدره، فاليدان عونان يقربان ويبعدان ويعملان على ما يوحي إليهما الملك، والرجلان ينقلان الملك حيث يشاء. والعينان يدلان على ما يغيب عنه لأن الملك وراء حجاب لا يوصل إليه إلا بهما، وهما سراجاه أيضا وحصن الجسد وحرزه.

---

(١) وردت في القلب والأعضاء الأخرى أحاديث كثيرة. وقد جمعها الامام السيوطي في كتابه: المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي ووضعها تحت عناوين مختلفة أهمها: ذكر الأعضاء الرئيسية والخادمة المرؤوسة. قال: أخرج البخاري (في صحيحه، كتاب الايمان) ومسلم وابن السني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.
وأخرج ابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا طاب قلب المرء طاب جسده، وإذا خبث القلب خبث الجسد) قال محقق كتاب السيوطي الدكتور حسن الأهدل: في إسناده رشدين بن سعد المهري وهو ضعيف.
وأخرج ابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده وإذا فسد الملك فسدت جنوده. الأذنان قمع، والعينان مسلحة، واللسان ترجمان، واليدان جناحان والرجلان بريدان، والكبد رحمة، والطحال ضحك والكليتان مكر والرئة نفس). قال المحقق الأهدل وهو حديث ضعيف فقد أورده الذهبي في الميزان (ج ١ / ٥٧٨) واستنكره. وهو في اللآلي (ج ١ / ٩٥ - ٩٦) فأورد طرقه كلها وهي ضعيفة. وفي فيض القدير (ج ٤ / ٥٣٩) يسنده إلى الإمام أحمد: هكذا جاء موقوفا (أي على أبي هريرة) ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.. وهذا الحديث أورده بلفظ مقارب الإمام علي الرضا المذكور أعلاه.
واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن كعب قال: أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الانسان؟، وانظري هل يوافق نعتي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: (انعت. قال: عيناه هاديان وأذناه قمع، ولسانه ترجمان، ويداه جناحان، ورجلاه بريدان، وكبده رحمة أو قال: رأفة، ورئتاه نفس، وطحاله ضحك، وكليتاه مكر، والقلب ملك، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده. قالت: هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الانسان).
قال المحقق الدكتور حسن المقبولي الأهدل (الحديث من رواية بقية بن الوليد، وهو مدلس عن الضعفاء، وبقية يرويه عن عتبة بن أبي حكيم الهمداني، أبي العباس الأردني صدوق يخطئ كثيرا) ثم ذكر رواته وانتهى إلى القول: والحديث ضعيف.

وهذا الحديث موافق لما ذكره الإمام علي الرضا إلا أن الرضا لم يذكر الكبد والطحال والكلى والرئتين.
وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ٣ / ١٩٧) عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الاذنين حجابا من الدواب ولولا ذلك ما دخلت الرأس دابة إلا التمست الوصول إلى الدماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وجعل الحرارة في المنخرين فيستنشق بها الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما طعم كل شئ ويسمع الناس حلاوة منطقه.
وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير وأبو الشيخ في العظمة عن جعفر بن محمد قوله.
وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار، والبيهقي في شعب الايمان، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لا تسألن رجلا حاجة بليل ولا تسألن أعمى حاجة، فإن الحياء في العينين).. وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا سألت رجلا حاجة فألقه بوجهك، فإن الحياء في العينين).

والأذنان لا يدخلان (١) على الملك إلا ما يوافقه لأنهما لا يقدران أن يدخلا شيئا حتى يوحي الملك إليهما (٢)، فإذا أوحى إليهما أطرق الملك منصتا حتى يسمع منهما ثم يجيب بما يريد فيترجم عنه اللسان بأدوات كثيرة منها: ريح الفؤاد وبخار المعدة

----

(١) في كتاب رمز الصحة للسيد محمد الموسوي الده سرخي الأصفهاني: (وحصن الجسد وحرزه الأذنان لا يدخلان على الملك إلا ما يوافقه).
(٢) وحي الملك كناية عن إرادة السماع وتوجه النفس إليه.

ومعدنة الشفتين، وليس للشفتين قوة إلا بالأسنان (١)، وليس يستغني بعضها عن بعض.
(والكلام لا يحسن إلا بترجيعه في الانف لأن الانف يزين الكلام كما يزين النفخ المزمار (٢)، وكذلك المنخران هما ثقبتا الانف يدخلان على الملك مما يحب من
الريح الطيبة، فإذا جاءت ريح تسوء على الملك أوحى إلى اليدين فحجبا بين الملك وتلك الريح، وللملك مع هذا ثواب وعقاب، فعذابه أشد من عذاب الملوك الظاهرة القاهرة في الدنيا، وثوابه أفضل من ثوابهم. فأما عذابه فالحزن، وأما ثوابه فالفرح. وأصل الحزن في الطحال وأصل الفرح في الثرب (الخاصرة وما حولها) والكليتين (٣). ومنهما يوصلان إلى الوجه فمن هناك يظهر الفرح والحزن فيرى علامتهما في الوجه. وهذه العروق كلها طرق من العمال إلى الملك ومن الملك إلى العمال. ومصداق ذلك أنه إذا تناولت الدواء أدته العروق إلى موضع الداء بإعانتها (٤).

عمارة الجسم مثل عمارة الأرض الطيبة، وأهمية الاعتدال في الطعام:

واعلم يا أمير المؤمنين أن الجسد بمنزلة الأرض الطيبة متى تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لا يزداد في الماء فتغرق ولا ينقص منه فتعطش، دامت عمارتها، وكثر ريعها وزكى زرعها، وإن تغوفل فسدت ولم ينبت فيها العشب، فالجسد بهذه المنزلة، وبالتدبير في الأغذية والأشربة يصح وتزكو العافية (٥).

فانظر يا أمير المؤمنين ما يوافقك ويوافق معدتك، ويقوى عليه بدنك ويستمرء به من الطعام فقدره لنفسك واجعله غذاك.

----

(١) في كتاب رمز الصحة: (الا باللسان) وهو ما يتفق والسياق.

(٢) هذا الكلام فيه شئ من الصحة. فالصوت يخرج من الحنجرة بتأثير مرور الهواء بين الحبال الصوتية. ويتم ظهور الحروف حسب أنواعها حلقية وشفهية.. الخ بتحرك اللسان والشفتين. وتعمل الجيوب الأنفية على تزخيم الصوت وترجيعه.

(٣) هذا الكلام عن أصل الحزن في الطحال وأصل الفرح في الثرب والكلى لا يقرء الطب الحديث.

(٤) هذه لفتة جيدة بارعة من الإمام الرضا في دخول الدواء الدورة الدموية وتوزيعه على الأعضاء.

(٥) تشبيه جميل وجيد وصحيح.

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحدة من هذه الطبائع يحب ما يشاكلها فاغتذ ما يشاكل جسدك.. ومن أخذ من الطعام زيادة لم يفده، ومن أخذ بقدر لا زيادة عليه ولا نقص نفعه، وكذلك ما سبيلك أن تأخذ من الطعام كفايتك في إبانه (*)، وارفع يديك منه وعندك إليه (* *) ميل فإنه أصلح لمعدتك وأذكى لعقلك وأخف على جسمك (١).

____

(١) موضوع الاعتدال في الطعام والشراب وفي الأمور كلها أمر قد حث عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة أيما حث. قال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) (الأعراف ٣١).
وأخرج الإمام أحمد في مسنده (ج ٤ / ١٣٢) والترمذي في سننه (ج ٧ / ٥١، ٥٢) وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان وابن السني (في الطب النبوي) والحاكم (في المستدرك) وصححه وأبو نعيم في الطب النبوي والبيهقي في شعب الايمان، عن المقدام بن معديكرب، رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).
وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها قالت: (رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا آكل في يوم مرتين فقال: يا عائشة اتخذت الدنيا بطنك! أكثر من أكلة كل يوم سرف، والله لا يحب المسرفين). قال البيهقي في إسناده ضعف. وأخرج أبو نعيم (في الطب النبوي) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (إياكم والبطنة من الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للسقم وعليكم القصد فيهما، فإنهما أصلح للجسد).
(*) في كتاب رمز الصحة: (في أيامه).
(* *) في كتاب رمز الصحة: وارفع يديك منه وبك إليه قرم (أي الميل).
وأخرج ابن السني (في الطب النبوي) وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن عبد الرحمن بن المرقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يخلق وعاء إذا ملئ شر من بطن، فإذا كان ولا بد فاجعلوها ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للنفس (وفي رواية للريح). قال الدكتور حسن الأهدل في تحقيقه لكتاب المنهج السوي والمنهل الروي للسيوطي إن عبد الرحمن بن المرقع مجهول. وفي مجمع الزوائد قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه المحبر بن هارون ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
وأخرج ابن السني وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصل كل داء البردة) والبردة: التخمة وثقل الطعام على المعدة. وروي أيضا عن أبي سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهم جميعا.
وأخرج البيهقي في شعب الايمان من طريق الحميدي عن سفيان بن أبجر عن أبيه قال: المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة وما ورد فيها بسقم صدر بسقم.. وروى البيهقي بسنده مثله مرفوعا عن أبي هريرة إلا أنه قال: (المعدة حوص البدن والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم).
وأخرج الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليلة وفي الطب النبوي وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أذيبوا طعامكم بذكر الله

والصلاة
ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم).
وقد أمر الاسلام بصيام شهر رمضان وندب إلى صيام أيام كثيرة. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) (البقرة ١٨٣، ١٨٤).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا) أخرجه الطبراني في الأوسط
ورواته ثقات.
وقال صلى الله عليه وسلم: (لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر) أخرجه البزار وابن ماجة.
وقال ابن القيم في الطب النبوي: (الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، وهي أمراض الأكثرية.. وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والاكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم.
(فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك، أورثته أمراضا متنوعة منها بطن الزوال أو سريعه).
(ومراتب الغذاء ثلاثة: الأول: مرتبة الحاجة، والثاني: مرتبة الكفاية، والثالث: مرتبة الفضلة.
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها (فهذه مرحلة
الحاجة) فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، وليدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس (وهذه مرتبة الكفاية).
(وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عليه الشراب، فإذا أورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، وصار بمنزلة حامل الحمل الثقيل.. هذا إلى ما يلزم من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع. فامتلاء البطن من الطعام للقلب والبدن).
وقال ابن القيم وهو يشرح قوله تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) (فأرشد (سبحانه) عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافا. وكلاهما مانع من الصحة، جالب للمرض، أعني عدم الأكل والشرب أو الاسراف فيه).
وهو كلام دقيق كل الدقة. فالطعام بعد هضمه وامتصاصه يتحلل إلى طاقة أو يتحول إلى أنسجة وخلايا لاستبدال التالف منها وللنمو وخاصة عند الأطفال. ولا بد للبدن من الأكل والشرب ليعوض ما تحلل من الطعام بالقدر الذي فقد (Catabolism). ثم ليبني الأنسجة والخلايا (Anabolism). ثم لا بد من الانتباه للكيفية إذ لا تكفي الكمية فقط فلا بد أن يحتوي الطعام على المواد المختلفة من النشويات والسكريات والبروتينات والدهنيات والأملاح والفيتامينات بحيث تكتمل عناصر الغذاء بمقاديرها التي يحتاج إليها الجسم دون زيادة ولا نقصان. وكلاهما يؤدي إلى الاختلال والمرض.

واعلم يا أمير المؤمنين: كل البارد في الصيف والحار في الشتاء والمعتدل في الفصلين (وهو كلام مبني على النظرية اليونانية في البارد والحار والرطب واليابس. وبما أن الصيف حار كان من المنطقي أن يأكل البارد وعكسه في الشتاء، والمعتدل في الخريف والربيع لاعتدال الجو فيهما).

وابدأ أول الطعام بأخف الأغذية التي تغتذي بها بدنك بقدر عادتك وبحسب طاقتك ونشاطك وزمانك الذي يجب أن يكون أكلك في كل يوم عندما يمضي من النهار ثمان ساعات أكلة واحدة أو ثلاث أكلات في يومين. تتغذى باكرا في أول يوم ثم تتعشى فإذا كان اليوم الثاني فعند مضي ثمان ساعات من النهار أكلت أكلة واحدة، ولم تحتج إلى العشاء، كذا أمر جدي محمد صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام في

كل يوم وجبة، وفي غده وجبتين. وليكن ذلك بقدر لا يزيد ولا ينقص. وارفع يديك من الطعام وأنت تشتهيه، وليكن شرابك على أثر طعامك من الشراب الصافي العتيق مما يحل شربه، والذي أنا واصفه فيما بعد.

فصول السنة:

ونذكر الآن ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة وشهورها الرومية الواقعة فيها، في كل فصل على حدة، وما يستعمل من الأطعمة والأشربة، وما يجتنب منه، وكيفية حفظ الصحة من أقاويل القدماء.

أما فصل الربيع فإنه من روح الزمان. وأوله:

مارس (آذار) وعدة أيامه ثلاثون يوما. وفيه يطيب الليل والنهار، ويلين الأرض، وتذهب سلطان البلغم، ويهيج الدم. ويستعمل من الغذاء اللطيف

واللحوم (١)، ويتقى فيه أكل البصل والثوم والحامض، ويحمد فيه شرب المسهل ويستعمل فيه الفصد والحجامة.
إبريل (نيسان): ثلاثون يوما يطول النهار، ويقوى مزاج الفصل، ويتحرك الدم، ويهب فيه الرياح الشرقية، ويستعمل فيه من المآكل المشوية، وما يعمل بالخل ولحوم الصيد. وتعالج بالجماع والتمريخ بالدهن في الحمام. ويشرب الماء على الريق (٢) ويشم الرياحين والطيب.
مايو (أيار): واحد وثلاثون يوما، تصفو فيه الرياح وهو آخر فصل الربيع، وقد نهي فيه عن أكل الملوحات واللحوم الغليظة كالرؤوس ولحوم البقر واللبن. وينفع فيه دخول الحمام أول النهار وتكره فيه الرياضة قبل الغذاء.
يونية (حزيران): ثلاثون يوما، يذهب فيه سلطان الدم ويقبل زمان المرة الصفراء. وينهى فيه عن التعب وأكل اللحم دائما والاكثار منه وشم المسك والعنبر، وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء والبقلة الحمقا. وأكل الخضار والقثا والشيرخشت والفاكهة الرطبة واستعمال المحمضات، ومن اللحوم المعز الثني والجدي (٣)، ومن الطيور الدجاج والطيهوج والدراج والألبان والسمك الطري.
يولية (تموز): أحد وثلاثون يوما فيه شدة الحرارة وتغور المياه، ويستعمل فيه شرب الماء البارد على الريق. وتؤكل فيه الأشياء الباردة الرطبة. وتؤكل فيه الأغذية السريعة الهضم كما ذكر في حزيران ويستعمل فيه من الشموم والرياحين الباردة الرطبة الطيبة الرائحة.
أغسطس (آب): أحد وثلاثون يوما. وفيه تشتد السموم، ويهيج الزكام بالليل، ويهب الشمال ويصلح المزاج بالتبريد والترطيب، وينفع فيه شرب اللبن

---

(١) في كتاب رمز الصحة هناك زيادة بعد كلمة اللحوم وهي: (والبيض النيمبرشت (وهو لفظ فارسي المقصود به البيض المغلي في الماء بحيث لا يتم نضجه بل تكون البيضة شبه سائلة). ويشرب الشراب بعد تعديله بالماء.
(٢) في كتاب رمز الصحة: (ولا يشرب الماء على الريق).
(٣) في كتاب رمز الصحة: والجذع بدلا من (والجدي).

الرائب، ويجتنب فيه الجماع والمسهل، ويقل من الرياضة ويشم الرياحين الباردة.
سبتمبر (أيلول): ثلاثون يوما فيه يطيب الهواء، وتقوى سلطان المرة السوداء: ويصلح شرب المسهل، وينفع فيه أكل الحلاوات وأصناف اللحوم المعتدلة كالجداوى الحولي من الضأن ويجتنب لحم البقر والاكثار من لحم الشواء، ودخول الحمام. ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج ويجتنب فيه أكل البطيخ والقثاء (١).
أكتوبر (تشرين الأول): أحد وثلاثون يوما، فيه تهب الرياح المختلفة ويتنفس فيه الريح الصبا. ويجتنب فيه الفصد وشرب الدواء ويحمد فيه الجماع وينفع فيه أكل اللحم بالتوابل ويقلل فيه شرب الماء ويحمد فيه الرياضة.
نوفمبر: (تشرين الثاني): ثلاثون يوما فيه يقع المطر الموسمي ونهي فيه عن شرب الماء بالليل. ويقلل من دخول الحمام والجماع. ويشرب بكرة كل يوم جرعة ماء حار ويجتنب أكل البقول كالكرفس والنعنع والجرجير.
ديسمبر (كانون الأول): أحد وثلاثون يوما، وتقوى فيه العواصف ويشتد فيه البرد، وينفع فيه كل ما ذكر في (تشرين الثاني)، ويحذر فيه أكل الطعام البارد، ويتقى فيه الحجامة والفصد ويستعمل فيه الأغذية الحارة بالقوة والفعل.
يناير (كانون الثاني): أحد وثلاثون يوما يقوى فيه غلبة البلغم، ينبغي أن يتجرع فيه الماء الحار بالريق ويحمد فيه الجماع. وينفع الأحساء (٢) فيه مثل البقول الحارة كالكرفس والجرجير والكراث، وينفع فيه دخول الحمام أول النهار والتمريخ بدهن الخيري، وما ناسبه ويحذر فيه الحلو وأكل السمك الطري واللبن.
فبراير (شباط): ثمانية وعشرون يوما تختلف فيه الرياح وتكثر الأمطار

---

(١) كل ما هو مذكور في هذا الباب لا أصل له في الطب الحديث. وربما احتاج الامر إلى مزيد من البحث وإجراء التجارب. ولا شك أن اختلاف المناطق والفصول والعادات لها تأثير (بشكل غامض) على الصحة.
(٢) في كتاب رمز الصحة: (الأحشاء) وفسرها الشارح بأنها من حشى حشوا، الوسادة بالقطن، والسياق يدل على أنها جمع حساء وهو الشوربة وتوضع فيها البقول الحارة كالكرفس والجرجير.

ويظهر العشب ويجري فيه الماء في الغور، وينفع فيه أكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة، ويقلل من أكل الحلاوات ويحمد فيه كثرة الحركة والرياضة ثم إنه (عليه السلام) ذكر وصف الشراب الحلال للمأمون وقال (١):

---

(١) وصف الشراب الحلال:
لم يذكر السيد الخرسان في كتابه: طب الإمام الرضا وصف الشراب الحلال بل حذفه. وقد ذكره كاملا السيد محمود الموسوي الأصفهاني في كتابه رمز الصحة في طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام فقال: (صفة الشراب الذي يحل شربه واستعماله بعد الطعام، وقد تقدم ذكر نفعه في ابتدائنا بالقول على فصول السنة وما يعتمد فيها من حفظ الصحة.
(وصفته: هو أن يؤخذ من الزبيب المنقى عشرة أرطال فيغسل وينقع في ماء صاف في غمرة، وزيادة عليه أربع أصابع، ويترك في إنائه ذلك ثلاثة أيام في الشتاء، وفي الصيف يوما وليلة (كما ورد في الحديث أنه كان ينتبذ له ثلاثة أيام، وفي رواية يوم وليلة. وتعليله ثلاثة أيام في الشتاء لعدم سرعة التخمر. وأما في الصيف فيوم وليلة فقط بسبب سرعة التخمر). ثم يجعل في قدر نظيفة، وليكن الماء ماء السماء إن قدر عليه (أي ماء المطر النازل مباشرة من السماء). وإلا فمن الماء العذب الذي ينبوعه من ناحية الشرق، ماء براقا أبيض خفيفا، وهو القابل لما يعترضه على سرعة من السخونة والبرودة، وتلك دلالة على صفاء الماء، ويطبخ حتى ينتفخ الزبيب وينضج، ثم يعصر ويصفى ماؤه، ويبرد ثم يرد إلى القدر ثانيا. ويؤخذ مقداره بعود ويغلى بنار لينة غليانا لينا رقيقا حتى يمضي ثلثاه. ثم يؤخذ من عسل النحل المصفى رطل فيلقى عليه، ويؤخذ مقداره مقدار الماء إلى أين كان من القدر (أي إلى مستوى الماء في القدر سابقا). ويغلى حتى يذهب قدر العسل ويعود إلى حده. (كثرة الغليان تؤدي إلى طرد أي كحول يتكون بعملية التخمر) ويؤخذ خرقة صفيقة فيجعل فيها زنجبيل وزن درهم، ومن القرنفل نصف درهم، ومن الدار صيني نصف درهم، ومن الزعفران درهم، ومن الهندباء مثله، ومن المصطكي نصف درهم، بعد أن يسحق الجميع كل واحد على حدة ويجعل في الخرقة، ويشد بخيط شدا جيدا. وتلقى فيه وتمرس الخرقة في الشراب بحيث تنزل قوى العقاقير التي فيها. ولا يزال يعاهد بالتحريك على نار لينة برفق حتى يذهب عنه مقدار العسل. ويرفع القدر ويؤخذ مدة ثلاثة أشهر حتى يتداخل مزاجه بعضه ببعض وحينئذ يستعمل.
(ومقدار ما يشرب منه أوقية إلى أوقيتين من الماء القراح (أي تضاف أوقتان من الماء، والأوقية تساوي ٣٠ مليلتر). فإذا أكلت يا أمير المؤمنين مقدار ما وصفت لك من الطعام فاشرب من هذا الشراب مقدار ثلاثة أقداح بعد طعامك، فإذا فعلت فقد أمنت بإذن الله يومك وليلتك من الأوجاع الباردة المزمنة كالنقرس والرياح وغير ذلك من أوجاع العصب والدماغ والمعدة وبعض أوجاع الكبد والمعاء (الأمعاء) والاحشاء. فإن صدقت بعد ذلك بشهوة الماء، فليشرب منه مقدار النصف مما كان يشرب قبله، فإنه أصلح لبدن أمير المؤمنين، وأكثر لجماعه وأشد لضبطه وحفظه، فإن صلاح البدن وقوامه يكون بالطعام والشراب، وفساده يكون بهما، فإن أصلحتهما صلح البدن، وإن أفسدتهما فسد البدن). انتهى كلام الإمام علي الرضا في الرسالة الذهبية في موضوع صفة الشراب.

قوة النفس تابعة لمزاج البدن:
واعلم يا أمير المؤمنين أن قوة النفس تابعة لأمزجة الأبدان، وأن الأمزجة تابعة للهواء ويتغير بحسب تغير الهواء في الأمكنة (١).

(النوم سلطان الدماغ):
واعلم يا أمير المؤمنين أن النوم سلطان الدماغ وهو قوام الجسد، وقوته فإذا أردت النوم فليكن اضطجاعك أولا على شقك الأيمن (٢) ثم انقلب على الأيسر (٣)
* *

____

(١) في كتاب رمز الصحة للسيد محمود الموسوي إضافة وهي: (فإذا برد الهواء مرة وسخن أخرى تغيرت بسببه أمزجة الأبدان وأثر ذلك التغير في الصورة). وهو أمر مشاهد عند تغير الجو فتقل المناعة ومقاومة الجسم للأمراض وتكثر النزلات الشعبية والزكام.. الخ. وكذلك عند استخدام مكيفات الهواء الباردة ثم الخروج إلى الجو الحار يتعب الجسم وينهكه ويكثر من الآلام الروماتيزمية ويقلل من مقاومة الجسم للمرض. ثم يقول الإمام علي الرضا كما ورد في كتاب رمز الصحة: (فإذا كان الهواء معتدلا اعتدلت أمزجة الأبدان، وصلحت تصرفات الأمزجة في الحركات الطبيعية كالهضم والجماع والنوم وسائر الحركات). وهو كلام سليم ومطابق للمعلومات الطبية الحديثة، ويعلل الإمام علي الرضا ذلك بمعلوماته الطبية المبنية على النظريات اليونانية فيقول: (لأن الله تعالى بنى الأجسام على أربع طبايع هي المرتان (أي المرة السوداء والمرة الصفراء) والدم والبلغم.
وبالجملة حاران وباردان قد خولف بينهما، فجعل الحارين لينا ويابسا، وكذلك الباردين رطبا ويابسا). يقصد الإمام الرضا أن الدم حار ورطب وأن المرة الصفراء حارة ويابسة. وأما الباردان فيقصد بهما البلغم وهو بارد ورطب والمرة السوداء وهي باردة ويابسة.
ثم يقول الرضا: (ثم فرق ذلك على أربعة أجزاء من الجسد: على الرأس والصدر والشراسيف وأسفل البطن. واعلم يا أمير المؤمنين أن الرأس والأذنين والعينين والمنخر والفم من الدم وأن الصدر من البلغم والريح. وأن الشراسيف من المرة الصفراء. وأن أسفل البطن من المرة السوداء). الشراسيف هي الأضلاع المعلقة المشرفة على البطن وما تحتويه.
وهذا الكلام كما أسلفنا مبني على نظرية الطبائع الأربع والعناصر الأربعة والأمزجة الأربعة التي أظهر الطب الحديث خطأها.

(٢) النوم على الشق الأيمن قد أمر به المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري ومسلم عن البراء رضي الله عنه
أنه قال: إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن.

(٣) ثم ينقلب بعد ذلك على شقه الأيسر ليقع الكبد على المعدة ويصير سببا لكثرة حرارتها فيقوى الهضم). هذا هو التفسير الذي وضعه الأطباء في الماضي. أما الطب الحديث فيؤيد النوم على الشق الأيمن لأن الكبد فيه فتبقى المعدة في الأعلى ويسهل نزول الطعام إلى أسفل ولا تنضغط المعدة بثقل الكبد.
وقد ذكر الامام السيوطي في كتابه المنهج السوي والمنهل الروي تعليلا للاتكاء على الجنب الأيسر قال: وأخرج الدينوري في المجالسة عن إياس بن معاوية قال: إذا أكلت فاتكئ على يسارك، فإن الكبد يقع على المعدة فينهضم ما فيها.
وقال السيد محمود الموسوي الأصفهاني في كتابه رمز الصحة في تعليل كلام الإمام الرضا: (قال الأطباء ليقع الكبد على المعدة ويصير سببا لكثرة حرارتها فيقوى الهضم).

وكذلك فقم (١) من مضجعك على شقك الأيمن كما بدأت به عند نومك وعود نفسك القعود من الليل ساعتين وادخل الخلاء لحاجة الانسان والبث فيه بقدر ما تقضي حاجتك ولا تطل فيه فإن ذلك يورث داء الفيل (٢).
السواك (٣)

____

(١) المقصود من هذه العبارة هو أن تقوم من النوم وأنت على الشق الأيمن الذي بدأت به النوم والاضطجاع. قال الموسوي الأصفهاني في كتابه رمز الصحة (وهذا أيضا موافق لقول الأطباء، وعللوه بانحدار الكيلوس وهو الغذاء المهضوم إلى الكبد). وهو كلام يوافقه الطب الحديث. ثم قال معلقا على موضوع النوم: (وهذا التفصيل مخالف لظواهر كثير من الأخبار الدالة على أن النوم على اليمين أفضل مطلقا، ولو كان هذا الخبر معادلا لها في السند، لأمكن حملها عليه).
وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم المنبطح. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه عن أبي
أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله
وقال: (قم). والنوم على البطن منبطحا هو أسوأ طرق النوم ويضغط على المعدة وعلى الصدر. ولا ينصح به الأطباء اليوم.
(٢) لا علاقة لداء الفيل بالمكث في الخلاء إلا بطريق غير مباشر. فمن المعلوم أن داء الفيل سببه طفيلي الفلاريا الذي تنقله البعوضة. وتعتبر أماكن الخلاء من أماكن تواجد الناموس (البعوض) وتكاثره.
فإذا انكشف الساق والفخذ وخزته البعوضة ونقلت بذلك طفيلي الفلاريا الذي يسكن في الأوعية للمفاوية فيسدها ويؤدي بذلك إلى تضخم الساق والقدم والفخذ أو كيس الصفن حتى تصير مثل قدم أو ساق الفيل في الضخامة، ولذا دعي هذا الداء: داء الفيل.
(٣) السواك: بالكسر (أفصح) وهو يطلق على الفعل أي على عملية الاستياك وعلى الآلة: أي المسواك.
وقد وردت في فضائل السواك أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي:
* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
عند كل صلاة) رواه البخاري ومسلم. وابن حيان في صحيحه إلا أنه قال: (مع الوضوء عند كل صلاة). ورواه أحمد وابن خزيمة في صحيحه ولفظه (لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء).
* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم
بالسواك مع كل وضوء) رواه الطبراني في الأوسط.
* عن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لولا أن أشق على
أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضؤون) رواه أحمد بإسناد جيد.
* ورواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث العباس بن عبد المطلب.
* عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن)
أخرجه أبو يعلى.
* عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى

خفت على أضراسي) رواه الطبراني.
* عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير
سواك) رواه أبو نعيم بإسناد حسن.
* عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأن أصلي ركعتين بسواك أحب إلي من
أن أصلي سبعين ركعة بغير سواك). رواه أبو نعيم بإسناد جيد.
* عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، ما جاءني
جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على أمتي. ولولا أني أخاف أن أشق على
أمتي لفرضته عليهم. وإني لأستاك حتى خشيت أن أحفي مقادم فمي) أخرجه ابن ماجة.
* عن عائشة رضي الله عنها ترفعه: (السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب) رواه النسائي وابن خزيمة
ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري في صحيحه، والطبراني في الأوسط الكبير
وزاد فيه (ومجلاة للبصر).
* عن حذيفة بن اليمان قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك) أخرجه
البخاري ومسلم في صحيحيهما ويشوص أي يدلك.
* عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته
إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك
فقضمته ورطبته ثم رفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن أحسن منه، فما غدا أن فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده أو إصبعه، ثم قال: (إلى الرفيق الاعلى.. ثلاثا) ثم قضى. وفي لفظ
(فرأيته ينظر إليه فعرفت أنه يحب السواك. فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم). أخرجه
البخاري ومسلم في صحيحيهما.
* عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستاك بسواك رطب قال:
وطرف السواك على لسانه، وهو يقول: أع أع والسواك في فيه، كأنه يتهوع) أخرجه الشيخان
البخاري ومسلم (متفق عليه).
* عن أنس رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثرت عليكم بالسواك) رواه البخاري.
* عن عائشة رضي الله عنها ترفعه: فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة)
أخرجه احمد والبزار وأبو يعلى والحاكم وصححه.
* عن خزيمة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك) أخرجه
الشيخان (متفق عليه).
* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستن) أخرجه البخاري.
* عن أبي بردة عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده يقول أع أع، والسواك في
فيه كأنه يتهوع. أخرجه البخاري.
* عن عامر بن ربيعة قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما لا أحصي يستاك وهو صائم) رواه البخاري.

وساك الشئ دلكه وفمه بالعود. والعود مسواك وسواك بكسرهما. وطلق لفظ السواك على الآلة (أي العود) وعلى الفعل أي عملية الاستياك.
وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم (ج ٣: ١٤٢) (والسنة هي الاستياك بالسواك أو بما يشبهه من أدوات خشنة تنظف الأسنان بدليل أن الابهام يقوم مقام السواك حين فقده).
قال ابن القيم في الطب النبوي (مادة سواك): (وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه. ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كانت سما). ثم قال: (وفي السواك عدة منافع يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات).
(ويستحب كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء، والانتباه من النوم، وتغير رائحة الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت (خلاف الشافعية الذين يقولون بكراهته بعد الزوال للصائم)).
وقد وضع الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد كتابا نافعا شاملا في السواك وسماه (السواك والعناية بالأسنان) تحدث فيه بإسهاب عن فوائد السواك المأخوذ من عود الأراك بعد أن ذكر تركيبه النباتي والكيميائي وفوائده الطبية العديدة وما به من مواد قاتلة للميكروبات، فنحيل القارئ الكريم عليه. وهو من إصدار الدار السعودية، جدة ١٤٠٢ ه / ١٩٨٢.

واعلم يا أمير المؤمنين أن أجود ما استكت به ليف (١)، فإنه يجلو الأسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويسمنها (ويسننها. خ ل) وهو نافع من الحفر (١) إذا

---

(١) المقصود به غصن الأراك كما ورد في كتاب رمز الصحة للسيد محمود الموسوي.
(٢) جاء في كتاب رمز الصحة أنها تشبه الخزف تركب على أصول الأسنان وتتحجر عليها. ومن الواضح أنه يتحدث عن القلح Calculus وهذه اللفظة تعني الحجر. وهو عبارة عن رواسب مواد عضوية وغير عضوية مثل كربونات وفوسفات الكالسيوم وفوسفات الماغنيسيوم ومواد أخرى بكميات ضئيلة بالإضافة إلى فضلات الاكل والجراثيم، تتراكم على أسطح الأسنان وإن تركت ولم تنظف تصبح صلدة قاسية تصعب إزالتها، وتسبب التهاب اللثة ونخر الأسنان (انظر لمزيد من التفصيل كتاب السواك والعناية بالأسنان للدكتور عبد الله الرزاق السعيد، إصدار الدار السعودية، جدة ١٤٠٢ ه / ١٩٨٢ م).

كان باعتدال والاكثار منه يرق الأسنان ويزعزعها (١) ويضعف أصولها فمن أراد حفظ الأسنان فليأخذ قرن الأيل (٢) وكزمازجا (٣) وسعدا ووردا (وهو الأحمر) وسنبل الطيب وحب الأثل (٤) جزءا سواء وملحا أندرانيا (٥) ربع جزء فيدق الجميع ناعما ويستن به فإنه يمسك الأسنان ويحفظ أصولها من الآفات العارضة.

ومن أراد أن يبيض أسنانه فليأخذ من ملح الاندراني ومثله زبد البحر فيسحقهما ناعما ويستن به.

بعض المآكل والممارسات وما يضر الجمع بينها:

ومما قاله عليه السلام للمأمون: احذر أن يجمع بين البيض والسمك في المعدة في وقت واحد فإنهما متى اجتمعا في جوف انسان ولدا علة النقرس والقولنج والبواسير ووجع الأضراس (٦)، ومداومة أكل البصل يعرض فيه الكلف في الوجه (٧)، وأكل الملوحة واللحمان المملوحة وأكل السمك المملوح بعد الفصد والحجامة يعرض منه البهق والجرب، وأكل كلية الغنم وأجواف الغنم يعكر المثانة (٨)، ودخول الحمام على البطنة يولد القولنج، والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك يورث الفالج (٩)، وأكل الأترج في الليل يقلب العين ويوجب الحول (١٠)، .

---

(١) هذا إذا استعمل عود شديد الجفاف وكانت طريقة الاستعمال خاطئة وعنيفة ومتكررة. ويوافقه ما جاء في الحديث (حتى خفت على أضراسي) وفي رواية (حتى خشيت أن أحفي مقادم فمي). وكثرة الاستياك مفيدة في كل الأحوال ما عدا استعمال عود جاف والاستياك بعنف.

(٢) الأيل: تيس الجبل.

(٣) الكزماج: ثمرة الأشجار الصغار من الطرفاء.

(٤) الأثل: هو الطرفاء.

(٥) الملح الاندراني نسبة إلى محلة. وهو كالبلور في صفائه يشد اللثة.

(٦) يكثر الكلام عن أضرار الجمع بين البيض والسمك في وقت واحد. وهذا الكلام لا أصل له في الطب الحديث سوى ما قد يحدث من حساسية وهي غير نادرة. وزيادة البروتين في الطعام تزيد من نسبة حدوث النقرس لمن لديهم استعداد للإصابة به. والسمك والبيض يحتويان على كمية كبيرة من البروتين. ولكن ذلك قد يكون أيضا مع اللحم والبيض.

(٧ – ١٠) كلها لا أصل لها في الطب الحديث. وهي منقولة عن كتاب يوحنا بن ماسويه (المحاذير) ونقله ابن القيم في الطب النبوي.

وإتيان الحايض يورث الجذام في الولد (١)، والجماع من غير إهراق الماء على أثره يوجب الحصاة (٢). والجماع بعد الجماع من غير فصل بينهما بغسل يورث في الولد الجنون (٣) وكثرة أكل البيض وإدمانه يولد الطحال ورياحا في رأس المعدة (٤)، والامتلاء من البيض المسلوق يورث الربو والابتهار (٥)، وأكل اللحم النيء يولد الدود في البطن (٦)، وأكل التين يقمل منه الجسد إذا أدمن عليه (٧).

وقال عليه السلام: وشرب الماء البارد عقب الشئ الحار أو الحلاوة يذهب بالأسنان (٨)، والاكثار من لحوم الوحش والبقر يورث تغير العقل وتحير الفهم وتبلد الذهن وكثرة النسيان (٩).

الحمام:

وإذا أردت دخول الحمام ولا تجد في رأسك ما يؤذيك، فابدأ عند دخول الماء بخمس جرع من الماء الفاتر فإنك تسلم بإذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة، وتصب خمس مرات الماء الحار على رأسك (١٠).

____

(١) إتيان الحائض لا يورث الجذام، ولكنه يسبب التهابات في الجهاز التناسلي والبولي لدى المرأة والرجل (انظر كتابنا خلق الانسان بين الطب والفقه، ودورة الأرحام، وهل هناك طب نبوي؟ فصل الحكمة من منع الجماع في الحيض، وكلها من إصدار الدار السعودية جدة).

(٢) ينصح القدماء بالتبول بعد الجماع وهو أمر كان الطب الحديث قد أهمله. وقد ظهرت بعض الأبحاث التي تنصح بذلك بالنسبة للمرأة وأن هذا التبول يقلل من حدوث التهابات المجاري البولية. والامر كذلك بالنسبة للرجل.

(٣ - ٤) لا أصل له في الطب الحديث.

(٥) أكل البيض (مسلوقا أو غير مسلوق) قد يسبب حدوث نوبة ربو لمن لديهم حساسية. ويقصد المصنف بالابتهار: ضيق النفس (النهج ويطلق عليه العامة النهجان والكتمة).

(٦) أكل لحم البقر غير المطهو جيدا قد يسبب الدودة الشريطية. أما لحم الخنزير فيسبب الدودة الشريطية من نوع أخبث ويسبب أنواعا أخرى من الديدان (انظر كتابنا: الاسرار الطبية والاحكام الفقهية في تحريم الخنزير، إصدار الدار السعودية جدة).

(٧) غير صحيح.

(٨) هذا أمر صحيح ولا شك فيه.

(٩) لا أصل له في الطب الحديث.

(١٠) وردت إضافة في كتاب رمز الصحة للسيد محمود الموسوي وهي غير موجودة في كتاب السيد مهدي الخرسان: طب الرضا ونصها: (اعلم يا أمير المؤمنين أن الحمام ركب على تركيب الجسد. للحمام أربعة بيوت مثل أربع طبايع الجسد: البيت الأول: بارد يابس (مثل المرة السوداء)، والثاني: بارد رطب، (مثل البلغم)، والثالث، حار رطب (مثل الدم)، والرابع حار يابس (مثل المرة الصفراء). ومنفعة الحمام عظيمة: يؤدي إلى الاعتدال وينقي الدرن (الوسخ)، ويلين العصب والعروق، ويقوي الأعضاء الكبار (كالرأس والفخذ والرجل واليد) ويذيب الفضول، ويذهب العفن. وإذا أردت أن لا يظهر في بدنك بثرة ولا غيرها، فابدأ عند دخول الحمام بدهن البنفسج. وإذا أردت استعمال النورة ولا يصيبك قروح ولا شقاق ولا سواد، فاغتسل بالماء البارد قبل أن

تتنور. ومن أراد دخول الحمام للنورة فيجتنب الجماع قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة. وهو تمام يوم، وليطرح في النورة شيئا من الصبر (Aloe Vera) والأقاقيا والحضيض (أسماء لنباتات)، ويجمع ذلك ويأخذ منه اليسير إذا كان مجتمعا أو متفرقا. ولا يلقي في النورة شيئا من ذلك حتى تماث (أي تخلط بالماء) النورة بالماء الحار الذي طبخ فيه بابونج (عشب طبي معروف) ومرزنجوش (عشب طبي)، أو ورد بنفسج يابس، أو جميع ذلك أجزاء يسيرة مجموعة أو متفرقة بقدر ما يشرب الماء. وليكن الزرنيخ (مادة سامة Cyanide) مثل سدس النورة. ويدلك الجسد بعد الخروج منها بشئ يقلع رائحتها كورق الخوخ وثجير (أي خليط) العصفر والحناء والورد والسنبل، مفردة أو مجتمعة. (ومن أراد أن يأمن إحراق النورة فليقلل من تقليبها (أي عند عملها لأنها تشتد حرارتها بالتقليب)، وليبادر إذا عمل (أي طلى بها جسده) في غسلها، وأن يمسح البدن بشئ من دهن الورد. فإن أحرقت النورة يؤخذ عدس مقشر، بسحق ناعما ويداف (يخلط) في ماء ورد وخل. ويطلي به الموضع الذي أثرت فيه النورة فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. والذي يمنع من آثار النورة في الجسد هو أن يدلك الموضع بخل العنب الثقيف (أي الشديد الحموضة) ودهن الورد دلكا جيدا.

الحجامة (١):
فإذا أردت الحجامة فليكن في اثنتي عشرة ليلة من الهلال إلى خمسة عشر فإنه أصلح لبدنك. فإذا نقص الشهر فلا تحتجم إلا أن تكون مضطرا إلى ذلك لأن الدم ينقص في نقصان الهلال ويزيد في زيادته.

---

(١) ورد الكلام عن الحجامة في كتاب رمز الصحة للسيد محمود الموسوي الأصفهاني. ولم يرد عنه أي شئ في كتاب السيد مهدي الخرسان طب الإمام الرضا.
وقد وردت أحاديث كثيرة في الحجامة ذكرها ابن القيم في كتابه الطب النبوي، وذكرها بتوسع أكثر الامام السيوطي في كتابه (المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي) الذي حققه الدكتور حسن مقبولي الأهدل. وقد ذكرها أيضا موفق الدين البغدادي في كتابه الطب من الكتاب والسنة الذي حققه الدكتور عبد المعطي قلعجي. وسنذكر فيما يلي نبذة من هذه الأحاديث ثم نذكر بعض المعلومات الطبية عن الحجامة.
* أخرج أبو داود في سننه وأبو نعيم في الطب النبوي وابن ماجة في كتاب الطب من سننه باب الحجامة والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن كان في
شئ مما تداويتم به خيرا، فالحجامة).
* وأخرج البخاري في تاريخه، والحاكم في المستدرك وصححه عن أبي هريرة يرفعه: أن جبريل أخبره أن الحجم أنفع ما تداوى به الناس.
* وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: (ما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسري بي إلا قال: عليك بالحجامة. وقال: إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين).
أخرجه الترمذي في سننه كتاب الطب وقال عنه حديث حسن غريب وابن ماجة والحاكم وصححه.
والحديث معلول قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج ١٠ / ١٥٠) وعلته عباد بن منصور.
* وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: (إن في الحجم شفاء).
وأخرج الحاكم وصححه عن سمرة رضي الله عنه، قال: دخل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم
فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: الحجم، وهو خير ما تداويتم به.
ومثله أن القائل هو أبو هريرة فقال: الحجم وهو خير ما تداوى به العرب (أخرجه ابن السني وأبو نعيم).
* وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن كان في
شئ من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم، أو لعقة عسل أو كية تصيب، وما أحبه إذا اكتوى.
* وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من
احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى عشرين، كان له شفاء من كل داء.
* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احتجموا لخمس عشرة أو سبع عشرة أو

تسع عشرة أو إحدى وعشرين لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله) أخرجه الطبراني والبزار في مسنده، ورواه الترمذي مرفوعا خلا قوله يتبيغ بأحدكم الدم.

وقد قال الإمام الرضا: (فإذا أردت الحجامة فليكن في اثنتي عشرة ليلة من الهلال إلى خمسة عشر)

وقال ابن سينا في القانون: (ويأمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها، لتزايد النور في جرم القمر، وتزيد الدماغ في الاقحاف، والمياه في الأنهار ذوات المد والجزر).

ويقول ابن القيم في الطب النبوي: (وتستحب الحجامة في وسط الشهر لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيغ، وفي آخره يكون قد سكن.. أما في وسطه فيكون في نهاية التزايد).

وقد ظهرت في العصر الحديث أبحاث مفادها أن القمر عندما يكون بدرا، أي في الثالث عشر الرابع عشر والخامس عشر، يزداد التهييج العصبي والتوتر النفسي إلى درجة بالغة. ويقول الدكتور ليبر عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة: (إن هناك علاقة قوية بين العدوان البشري والدورة القمرية وخاصة بين مدمني الكحول والميالين إلى الحوادث وذوي النزعات الاجرامية...). ويشرح نظريته قائلا: (إن جسم الانسان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠ بالمئة من الماء والباقي هو من المواد الصلبة). ومن ثم فهو يعتقد بأن قوة الجاذبية القمرية التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضا هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وهو نفسه ما عبر عنه القدماء بتهيج الأخلاط وتبيغ الدم.. وكما يحدث المد في البحر عند اكتمال البدر يحدث هياج الدم وتبيغه في الجسم عند اكتمال القمر أي في اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وهو بالضبط ما ذكره الإمام علي الرضا، والرضا نقله عن جده المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ورد في الأحاديث التي نقلنا بعضا منها ورغم

أن الطب الحديث لم يعد يهتم بالحجامة إلا أن الطب الشعبي لا يزال يذكر استخدام كاسات الهواء Cupping حيث يسخن الهواء بداخل الكأس فيتمدد بالحرارة وعند ملامسته للجلد يبرد الهواء فينكمش ويقل حجمه فيحدث فراغا داخل الكأس، مما يجذب الجلد إلى داخل الكأس. وقد يقوم الشخص بإحداث جروح سطحية بالمشرط ثم توضع الكأس بالطريقة السابقة نفسها وذلك يؤدي إلى خروج كمية من الدم من الأوعية الدموية السطحية.

وكانت الحجامة تستخدم لعلاج التهابات المفاصل والآلام الروماتيزمية، وضغط الدم، ولتخفيف آلام الذبحة الصدرية والتهاب غشاء القلب والتهاب عضلة القلب، وآلام الرقبة والرأس والبطن وأوجاع العيون.

ويزعم الدكتور عبد المعطي قلعجي أن كل النشرات الطبية والمجلات الطبية والكتب الطبية كانت تذكر الحجامة وفوائدها حتى عام ١٩٦٠ وذلك في تحقيقه لكتاب موفق الدين البغدادي (الطب من الكتاب والسنة) ص ٤١ – ٤٤. ولا شك أن كلامه هذا مبالغ فيه جدا..

ولا تزال الحجامة تستخدم في الطب الشعبي في مختلف أقطار الدنيا وخاصة لمعالجة آلام الروماتيزم الشديد. ويذكر الدكتور قلعجي كتابا للدكتور Forsterling (دون أن يذكر اسم الكتاب ولا الناشر) وأنه أشار إلى فائدة الحجامة في علاج أمراض الروماتيزم. كما ذكر كتاب الأستاذ الدكتور محمد زكي سويدان (التمريض والاسعاف) وأنه ذكر فيه فوائد الحجامة لعلاج حالات هبوط القلب المصاحب بارتشاح في الرئتين وفي أمراض القلب والصدر وآلام المفاصل. وذكر أن الأستاذ الدكتور عبد العظيم رفعت ذكر استخدام الحجامة في علاج عسر البول الناتج عن التهاب الكلية وأن الحجامة تكون على الخاصرة.

ورغم أني مارست الطب لمدة تزيد على ربع قرن إلا أني لم أشاهد أي طبيب يستخدم الحجامة ولم اقرأ عن الحجامة في أي كتاب طبي. ولا شك أن الأطباء اليوم مبتعدون عن الحجامة وأن مجالها في

الوقت الحاضر الطب الشعبي. ولا يمنع هذا من إجراء البحوث والتجارب عليها، بل ينبغي ذلك، وخاصة في مراكز البحث العلمي والجامعات.

ولتكن الحجامة بقدر ما يمضي من السنين فابن عشرين سنة يحتجم في كل عشرين يوما وابن الثلاثين في كل ثلاثين يوما مرة واحدة. وكذلك من بلغ من العمر أربعين سنة يحتجم في كل أربعين يوما مرة وما زاد فبحسب ذلك.
واعلم يا أمير المؤمنين أن الحجامة إنما تأخذ دمها من صغار العروق المبثوثة في اللحم ومصداق ذلك ما ذكرته أنها لا تضعف القوة كما يوجد من الضعف عند الفصد (١)، وحجامة النقرة (٢) تنفع من ثقل الرأس، وحجامة الأخدعين (٣)، تخفف عن الرأس والوجه والعينين وهي نافعة لوجع الأضراس وربما ناب الفصد عن جميع ذلك وقد يحتجم تحت الذقن لعلاج القلاع (٤) في الفم ومن فساد اللثة وغير ذلك من أوجاع الفم وكذلك الحجامة بين الكتفين تنفع من الخفقان الذي يكون من الامتلاء والحرارة. والذي يوضع على الساقين قد ينقص من الامتلاء نقصانا بينا وينفع من الأوجاع المزمنة في الكلي والمثانة والأرحام. ويدر الطمث (أي الحيض) غير أنها تنهك الجسد.

----

(١) تأخذ الحجامة من الأوعية الدموية الصغيرة الموجودة تحت الجلد مباشرة. وهي لا شك من الأوردة الصغيرة والشعيرات الدموية. وهي لا تضعف القوة لأن ما يؤخذ من الدم بواسطتها لا يعدو مليلترات قليلة.
أما الفصد Venesection فهو استنزاف الدم من العروق (الأوردة) الكبيرة. ويتم الفصد في العصور الحديثة بوساطة إبرة واسعة القناة (المجرى) ويؤخذ الدم مباشرة وتتراوح كمية الدم المفصود ما بين ٢٥٠ – ٥٠٠ مليلتر. ويستخدم الفصد في حالات مرضية خاصة مثل زيادة كرات الدم الحمراء (كثرة الحمر Polycythemia). وفي حالات هبوط القلب الشديد (وإن كان هذا السبب الأخير يعالج الآن بكفاءة بالعقاقير دون الحاجة إلى الفصد) وارتفاع ضغط الدم الشديد (كذلك لا يعالج الآن بالفصد).. وبطبيعة الحال فإن التبرع بالدم ليس إلا نوعا من الفصد وهو يتم يوميا في مختلف أرجاء العالم حيث يتم التبرع بآلاف اللترات من الدم يوميا.
وقد صدق الإمام الرضا في أن الحجامة لا تضعف القوة لأن ما يؤخذ من الدم لا يزيد عما تأخذه المختبرات الطبية لتحليل الدم (أي بضعة مليلترات) وهو من العروق الصغيرة كما ذكر الإمام الرضا . أما الفصد فيؤخذ من العروق الكبيرة ويتم فيه أخذ كمية كبيرة من الدم ولذا يسبب الوهن بعده مباشرة. وإن كان الجسم يعوض الدم المفقود خلال أسبوع أو أقل.
(٢) النقرة: في أعلى الفقرات العنقية وتحت الجمجمة مباشرة Occiput.
(٣) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا.
(٤) القلاع في كتب الطب قرحة تكون في جلد الفم واللسان مع انتشار واتساع ويعرض للصبيان كثير.

وقد يعرض منها الغشي الشديد إلا أنها تنفع ذوي البثور والدماميل. والذي يخفف من ألم الحجامة تخفيف المص عند أول ما يضع المحاجم، ثم يدرج المص قليلا، والثواني أزيد في المص من الأوائل، وكذلك الثوالث فصاعدا، ويتوقف عن الشرط حتى يحمر الموضع جيدا بتكرير المحاجم (١)، عليه ويلين المشرط على جلود لينة (٢) ويمسح الموضع قبل شرطه بالدهن وكذلك الفصد فإنه يقلل الألم وكذلك المشرط والمبضع (٣)، بالدهن عند الحجامة وعند الفراغ منها يلين الموضع بالدهن وليقطر (٤)، على العروق إذا فصد شيئا من الدهن لكيلا يحتجب فيضر ذلك بالمقصود.

وليعمد الفاصد أن يفصد من العروق ما كان في المواضع القليلة اللحم لأن في قلة اللحم من فوق العروق قلة الألم. وأكثر العروق ألما إذا فصد حبل الذراع، والقيفال (٥)، لاتصالهما بالعضل (٦)، وصلابة الجلد، فأما الباسليق (٧)، والأكحل (٨)، فإنهما في الفصد أقل ألما إذ لم يكن فوقهما لحم.

والواجب تكميد (٩) موضع الفصد بالماء الحار ليظهر الدم وخاصة في الشتاء فإنه يلين الجلد ويقلل الألم ويسهل الفصد. ويجب في كل ما ذكرناه من إخراج

---

(١) الحجم وهي شئ كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجا ويجذب الدم أو المادة بقوة، جمع محاجم.

(٢) أي بمسحه عليها ويمسح الموضع لأنه يصير الموضع لينا فلا يتألم كثيرا من الشرط.

(٣) المبضع وهو آلة يشق بها الجلد.

(٤) أي وليضع على الموضع الذي يريد أن يفصده من العرق قطرة من الدهن لئلا يشتبه عند البضع.

(٥) قيل هو العرق الذي وقع في مقابل الابهام وقيل هو الوريد الذي يظهر عند المرق على الجانب الوحشي وقيل هو عرق في الذراع يفصد وقيل هو بالكسر عرق في اليدين يفصد معرب. Cephalic vein.

(٦) العضل: كل عصبة معها لحم مجتمع Basilic vein.

(٧) والباسليق هو الوريد الظاهر من المرفق إلى الساعد وقيل هو عرق مقابل الوسطى.

(٨) والأكحل هو المعروف بالبدن بين الباسليق والقيفال وقيل هو عرق في اليد. وقيل هو عرق وقع مقابل السبابة.

(٩) هو أن يبل خرقة بالماء الحار ويضعها عليه وقيل أي يبخر الموضع ببخار الماء الحار.

الدم اجتناب النساء قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة، ويحتجم في يوم صاح صاف لا غيم فيه ولا ريح شديدة ويخرج من الدم بقدر ما يرى من تغيره، ولا تدخل يومك ذلك الحمام فإنه يورث الداء، وصب على رأسك وجسدك الماء الحار ولا تفعل ذلك من ساعتك. وإياك والحمام إذا احتجمت فإن الحمى الدائمة تكون (فيه) فإذا اغتسلت من الحجامة فخذ خرقة مرعزي (١) فألقها على محاجمك أو ثوبا لينا من قز (٢)، أو غيره.

وخذ قدر حمصة من الترياق الأكبر (٣)، واشربه إن كان شتاء، وإن كان صيفا فاشرب السكنجبين العنصلي (٤)، وامزجه بالشراب المفرح المعتدل (٥)، وتناوله، أو بشراب الفاكهة وإن تعذر ذلك فشراب الأترج فإن لم تجد شيئا فتناوله بعد علكه (أي بعد مضغه) (أي علك الترياق الأكبر) ناعما تحت الأسنان واشرب عليه جرع الماء الفاتر. وإن كان ذلك في زمان الشتاء والبرد فاشرب عليه السكنجبين العسلي فإنك متى فعلت ذلك أمنت من اللقوة والبرص والبهق والجذام بإذن الله تعالى.

وامتص من الرمان المز فإنه يقوي النفس ويجلي الدم، ولا تأكل طعاما مالحا بعد ذلك بثلاث ساعات فإنه يخاف أن يعرض من ذلك الجرب وإن شئت فكل من الطياهيج إذا احتجمت واشرب عليه من الشراب المزكي الذي ذكرته أولا وادهن بدهن الخيري أو شئ من المسك وماء الورد وصب منه على هامتك ساعة فراغك من الحجامة.

وأما في الصيف فإذا احتجمت فكل السكباج (شورباج الخل) والهلام (٦).

---

(١) المرعز والمرعزي ويمد إذا خفف وقد تفتح الميم في الكل. الزغب الذي تحت شعر العنز.

(٢) والقز: نوع من الإبريسم وقد يقال لا يطلق عليه الإبريسم قز يعني الحرير.

(٣) الترياق الأكبر والترياق. الفاروق. من الأدوية القديمة وفي البحار الظاهر أن الترياق الأكبر هو الفاروق ولا بد من حمله على ما إذا لم يكن مشتملا على الحرام كالخمر ولحم الأفاعي ونحوه.

(٤) العنصل: نوع من البصل البري. ومنه نوع يستخدم في أمراض القلب.

(٥) مثل شراب التفاح.

(٦) الهلام: طعام من لحم العجل أو البقر. وتستخرج المادة الهلامية من العظم والكوارع.

والمصوص (١) والحامض وصب على هامتك دهن البنفسج بماء الورد وشيئا من الكافور واشرب من ذلك الشراب الذي وصفته لك بعد طعامك وإياك وكثرة الحركة والغضب ومجامعة النساء ليومك.

نصائح عامة:

عدم حبس البول: ومن أراد أن لا يشتكي من مثانته فلا يحبس البول ولو على ظهر دابة (٢).

---

(١) المصوص: طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل، أو يكون من لحم الطير خاصة مثل لحم الدراج أو الديك يطبخ في الخل والبقول الباردة.

(٢) هذا أمر هام يستحق الاهتمام من الأطباء والعامة. وحبس البول قد يسبب ارتجاع البول من المثانة إلى الكلى. وذلك يؤدي إلى التهابات المجاري البولية والكلى، كما يؤدي إلى زيادة نسبة تولد الحصى.
وقد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن حقن البول.
فقد أخرج أبو داود في سننه (كتاب الطهارة، باب أيصلي الرجل وهو حاقن ج ١ الحديث رقم ٨٨)
عن عبد الله بن الأرقم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أراد أحدكم ان يذهب الخلاء وقامت الصلاة فليبدأ بالخلاء). والمقصود بالخلاء أن يذهب إلى مكان خال ليتغوط أو يتبول.
والحديث أخرجه أيضا الترمذي في سننه في أبواب الطهارة، باب إذا أقيمت الصلاة ووجد أحدكم الخلاء فليبدأ بالخلاء (سنن الترمذي ج ١ الحديث رقم ١٤٢، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر). قال الترمذي: (حديث حسن صحيح. وفي الباب (أي مثله): عن عائشة وأبي هريرة وثوبان وأبي أمامة، (رضي الله عنهم أجمعين). قال الترمذي: (وهو قول غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين. وبه يقول أحمد (بن حنبل) وإسحاق (بن راهويه)، قالا: لا يقوم إلى الصلاة وهو يجد شيئا من الغائط والبول. وقالا: إن دخل في الصلاة فوجد شيئا من ذلك فلا ينصرف ما لم يشغله. وقال بعض أهل العلم: لا بأس أن يصلي به وغائط أو بول، ما لم يشغله ذلك عن الصلاة).
وهكذا أوضح الامام الترمذي في سننه الأقوال بعد إيراد الحديث الذي قال عنه حديث حسن صحيح... فبعض العلماء من يرى حرمة الدخول في الصلاة إذا كان به البول والغائط. وبعضهم يرى أن النهي في الحديث إنما يدل على كراهة التنزيه لا الحرمة.
وقد أخرج أبو داود في الباب حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا
يصلي بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان).
وحديث ثوبان رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن: لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم، ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن فإن فعل فقد دخل، ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: (لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حقن حتى يتخفف).
وقد أخرجهما أيضا الإمام أحمد في مسنده (ج ٥: ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٠)، وابن ماجة في سننه (في كتاب الطهارة ١١٤).

ومن أراد أن لا تؤذيه معدته لا يشرب على طعامه ماءا حتى يفرغ منه.
ومن فعل ذلك رطب بدنه وضعفت معدته ولم تأخذ العروق قوة الطعام فإنه يصير في المعدة فجا (١) إذا صب الماء على الطعام أولا.
ومن أراد أن لا يجد الحصاة وعسر البول فلا يحبس المني عند نزول الشهوة ولا يطيل المكث على النساء.
أكل التمر يقي من البواسير: ومن أراد أن يأمن من وجع السفل ولا يظهر وبه رياح البواسير فليأكل كل ليلة سبع تمرات برني بسمن البقر ويدهن بين أنثييه بدهن الزنبق خالص (٢).

---

(١) الفج: الذي لم ينضج أي إن شرب الماء قبل الطعام يخفف من عصارة المعدة وفيها حامض الهيدروكلوريك والأنزيمات الهاضمة مثل الببيسين. فإذا شرب الماء بكثرة قبل الطعام صارت عصارة المعدة مخففة فلا تهضم الطعام فيبقى الطعام فجا، دون أن ينضج أي دون أن ينهضم.
(٢) يشير الإمام علي الرضا ها هنا إلى فوائد التمر في معالجة البواسير. وقد أثبتت الأبحاث الطبية الكثيرة فوائد التمر كمادة ملينة تليينا طبيعيا. والامساك من أهم أسباب حدوث البواسير ونزفها وحدوث شرخ في الشرج Anal Fissure.
يقول الدكتور محمد على الحاج في كتابه (غذاؤك حياتك): والتمر يساعد على تليين الأمعاء. ويقول الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد في كتابه القيم: (الاعجاز الطبي في القرآن والأحاديث النبوية: الرطب والنخلة) (إصدار الدار السعودية جدة ١٩٨٥): (والتمور تحتوي على الألياف السيليولوزية وكذلك الرطب. وتختلف نسبة السيليولوز باختلاف أنواع التمور...) ويوجد عادة في الاجزاء الخشبية للنباتات وأغلفة الحبوب... ولكن الألياف السيليولوزية لا يهضمها الانسان، لكنها ذات نفع كبير له، إذ تنشط حركة الأمعاء فيسير الغذاء فيها وما تبقى من فضلات يخرج برازا. والألياف السيليولوزية غير المنهضمة تكون سواغا وحجما للبراز مما يساعد على تليين الأمعاء...
(من هذا نرى أن الرطب ملين طبيعي جيد، وعادة تنصح الحامل بأخذ الملينات وذلك لتأمين وتسهيل عملية الولادة، وليس المسهلات القوية. والألياف السيليولوزية تعتبر ملينا أمينا للحوامل وتفضل على الملينات الكيميائية التي تؤخذ على أشكال مختلفة، ولربما تسبب تخرش الغشاء المخاطي ومن ثم التهاب القولون. وهذه الملينات تسبب حركات اصطناعية للأمعاء بعكس الألياف السيليولوزية التي تنظف القولون، وهذا بدوره يساعد على تسهيل وسلامة الولادة).
وقد ذكر الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز في كتابهما (مع الطب في القرآن) فوائد الرطب ومن ذلك كونه من المواد الملينة، وأنه يحتوي على مادة مشابهة لمادة الأوكسي توسن Oxy Tocin التي تساعد على الولادة وانقباض الرحم ومنع النزف بعد الولادة في فترة النفاس.
وإذا صح ذلك فإنه يمكن أن ينطبق أيضا على البواسير التي تنزف فيساعد الرطب والتمر بما يحويه من مواد مانعة للنزف.
وربما كانت في التمر والرطب مواد قابضة للأوعية الدموية Vasoconstrictor ومقوية لهذه الأوردة التي تتجمع في الشرج فتتنزل مسببة البواسير.
ولا مجال ها هنا للحديث عن فوائد التمر وما يحتويه من عناصر غذائية هامة مثل السكريات والنشويات والبروتينات والأملاح والمعادن والفيتامينات والماء والسيليولوز... ولكن ننبه هنا إلى أهمية فيتامين ج خاصة في تقوية جدر الأوعية الدموية ومادة الكالسيوم والفيتامينات الأخرى في منع

النزف أو التقليل من حدوثه... وهو أمر متعلق بموضوع البواسير الذي أشار إليه الإمام علي الرضا.

وقد تحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن النخل وتمرها بل ذكر الله سبحانه وتعالى نواة التمر وغلافها الخفيف (القطمير) وذكر النقرة الموجودة في النواة (النقير) ونوه بفوائد الرطب وخاصة للنفساء قال تعالى في سورة مريم (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقري عينا...) (مريم ٢٣ – ٢٦).

كما وردت أحاديث نبوية كثيرة جدا في التمر وفوائده وأهميته الغذائية نذكر منها على سبيل المثال قوله صلى الله عليه وسلم: (بيت لا تمر فيه جياع أهله) أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وأبو داود

والترمذي وابن ماجة في سننهم كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

وفي سنن النسائي وابن ماجة من حديث جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(العجوة من الجنة وهي شفاء السم) وثبت في الصحيحين البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم: (من تصبح

بسبع تمرات (وفي لفظ من تمر العالية) لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر). وروى مسلم في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم: (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها (أي المدينة) حين يصبح لم يضره سم حتى

يمسي). وفي لفظ له (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر). والعجوة من أفضل تمر المدينة.

وكان صلى الله عليه وسلم يحنك المواليد من أهل المدينة بالتمر ويدعو لهم بالبركة وبعض هؤلاء المواليد يتلمض

التمرة في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك: (أبت الأنصار إلا حب التمر) (أخرج البخاري

في كتاب العقيقة أحاديث عدة في هذا الباب). وشبه النبي صلى الله عليه وسلم المسلم بالنخلة (من الشجرة شجرة

تكون مثل المسلم وهي النخلة). أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، لكثرة بركتها وخيرها. وثبت أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعيش هو وأهل بيته الشهر والشهرين على الأسودين التمر والماء. (أخرجه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها). وأمر صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات فإن لم يكن فتمرات فإن لم يجد فيحسو الماء، وكان ذلك

فعله صلى الله عليه وسلم. قال صلى الله عليه وسلم (إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور).

ولا مجال ها هنا للتوسع في ذكر فوائد التمر ويكفي أن نحيل القارئ الكريم إلى كتاب جامع في هذا الباب وهو كتاب (الاعجاز الطبي في القرآن والأحاديث النبوية: الرطب والنخلة) للدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد إصدار الدار السعودية، جدة ١٩٨٥، وكتاب فسلجة وتشريح ومورفولجي نخلة التمر للدكتور جبار حسن النعيمي والدكتور الأمير عباس جعفر، كلية الزراعة جامعة البصرة وكتاب (النخيل) إصدار وزارة الزراعة، المملكة العربية السعودية وكتاب (النخيل) لعبد اللطيف واكد، القاهرة. وكتاب نخلة التمر للدكتور عبد الجبار البكر، العراق وكتاب (غذاؤك حياتك) للدكتور محمد علي الحاج وكتاب (مع الطب في القرآن) للدكتور عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز. وفيما ذكرنا غنية والكتب والمقالات في موضوع النخلة وثمرها في

ازدياد كل يوم، ويعسر حصرها.

(١٦٦)

الزنجبيل لمعالجة النسيان وتقوية الذاكرة:
ومن أراد أن يقل نسيانه ويكون حافظا فليأكل ثلاث قطعات زنجبيل مربا بعسل ويصطنع بالخردل مع طعامه في كل يوم (١).
ومن أراد أن يزيد في عقله يتناول كل يوم ثلاث هليلجات بسكر إبلوج.

----

(١) لم يرد في الزنجبيل سوى حديث ذكره السيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي تحت عنوان استعمال الجوارش (والجرش الشئ الخشن) قال: وأخرج ابن السني وأبو نعيم والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ملك الهند أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا، فيما أهدى إليه
جرة زنجبيل، فأطعم كل إنسان قطعة قطعة، وأطعمني قطعة. قال الحاكم: لم أحفظ في أكل الزنجبيل سواه. والحديث ضعيف ضعفه الذهبي وقال الهيثمي: فيه عمرو بن حكام، وعمرو بن حكام تركه البخاري وضعفه هو وغيره.
وقد مدح الله سبحانه وتعالى الشراب الممزوج بالزنجبيل وهو من شراب أهل الجنة قال تعالى: (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) (الانسان ١٧). وذكر ابن القيم في الطب النبوي فوائد الزنجبيل نقلا عن كتب الأطباء فقال: (الزنجبيل معين على هضم الطعام ملين للبطن تليينا معتدلا. نافع من سدد الكبد، معين على الجماع. وهو محلل للرياح الغليظة الحادثة في الأمعاء والمعدة. ويقع في المعجونات التي تحلل البلغم. والمزي منه حار يابس، يهيج الجماع ويزيد المني ويعين على الاستمراء وينشف البلغم ويطيب النكهة ويدفع به ضرر الأطعمة الغليظة الباردة).
ويستخدم الزنجبيل في الطب الصيني لمداواة السعال وانتفاخ البطن والحرارة وآلام أسفل الظهر، ويشربه الأفارقة كمقو جنسي وفي غينيا الجديدة يستعمله النساء كمانع للحمل (أنظر كتاب قبسات من الطب النبوي للدكتور حسان شمس باشا، مكتبة السوادي جدة).
وفي الطب الحديث أظهرت الدراسات العلمية كما يقول الدكتور حسان شمس باشا (أن للزنجبيل الطازج تأثيرات دوائية عديدة فهو مضاد للاقياء (القئ) ومقو للقلب، ومضاد للمغص ومسيل للعاب والافرازات المعدية ومضاد للهستامين. وذكر غوجرال (١٩٧٨) أن للزنجبيل تأثيرا مضادا للاختلاج وهو خافض للكوليسترول. وقد وصف هيكينو (Hikino) عام ١٩٨٣ أن للزنجبيل المعامل المبخر تأثيرات فسيوليجية أيضا فهو مسكن وله تأثير مضاد للاقياء (القئ) ومحرض للقلب.
(ويتركب الزنجبيل من السينيول Cineole، والجنجبرين Gingiberene والزنجبرول Zingiberol والجنجبرول والشاغول (Shagool). والمادتان الأخيرتان مسؤولتان عن الطعم اللاذع للزنجبيل، ولهما أيضا الخصائص المهدئة المركزية للدماغ والمضادة للحرارة.
ولعل هذه النقطة الأخيرة هي التي أشار إليها الإمام علي الرضا بقوله (ومن أراد أن يقل نسيانه فليأكل ثلاث قطعات زنجبيل مربا بالعسل ويصطنع بالخردل مع طعامه كل يوم).
وتذكر بعض الأبحاث الحديثة (نقلا عن الدكتور حسان شمس باشا) أن للزنجبيل تأثيرا مشابها لتأثير دواء القلب المشهور الديجوكسين digoxin وأن الزنجبيل يضاد البروستا جلاندين وهو بذلك مماثل للاسبرين وأدوية الروماتيزم مثل الفولتارين والاندوسين. الخ. ولذا فهو مهم في علاج الرثية وآلام المفاصل وهو كذلك مفيد لعلاج دوار السفر، بل أثبتت التجربة أنه أفضل من حبوب الدرامامين Dramamine التي تعطى لمعالجة دوار السفر، وقد نشرت ذلك مجلت اللانست الطبية البريطانية المشهورة. وقد أكد كاتب المقال في ختام حديثه ذلك بقوله: (ليس هناك شك في فعالية الزنجبيل في علاج دوار السفر).

ونشرت مجلة Medical Hypothesis عام ١٩٨٦، كما ينقله عنها الدكتور حسان شمس باشا، مقالا جاء فيه أن الزنجبيل لا يمنع تجمع صفائح الدم Platlets فحسب ولكنه أيضا يمنع الأنزيم - Thrombox
ane Synthetase الذي يساعد على تخثر الدم. وبالتالي فإن الزنجبيل يساعد على منع حدوث جلطات الدماغ والقلب والأطراف. وأكد ذلك كثير من الأبحاث السابقة واللاحقة ومنها مقال نشرته مجلة New England J of Medicine ، الأمريكية المشهورة كتبه الباحث الدكتور دورسو (انظر
كتاب قبسات من الطب النبوي للدكتور حسان شمس باشا).

ومن أراد أن لا ينشق ظفره ولا يميل إلى الصفرة ولا ينسد حول ظفره فلا يقلم أظفاره إلا يوم الجمعة.

وضع قطنة في الأذن عند النوم:
ومن أراد أن لا تؤلمه أذنه فليجعل فيها عند النوم قطنة (١).
أكل الشهد وقاية من الزكام:
ومن أراد ردع الزكام مدة أيام الشتاء فليأكل كل يوم ثلاث لقم من الشهد (٢).

____

(١) هذه ملاحظة ذكية من الإمام علي الرضا ففي المناطق الحارة تكثر الحشرات، وقد تدخل إلى الأذن وخاصة عند النوم، فإذا غطاها قبل النوم بقطنة أمن من دخولها.

(٢) يعتبر العسل من أفضل الأدوية والأغذية فهو، كما يقول ابن القيم في الطب النبوي، غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلو، وطلاء مع الأطلية، ومفرح مع المفرحات. فما خلق لنا شئ في معناه: أفضل منه ولا مثله ولا قريب منه. ولم يكن معول القدماء إلا عليه. وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد، حدث قريبا).
ويكفي أنه قد ورد فيه قول الله تعالى (فيه شفاء للناس). ووردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها قوله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن) أخرجه ابن ماجة
قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات... وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة يرفعه: (من لعق ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء). أخرجه ابن ماجة.
وفي الصحيحين (البخاري ومسلم) أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي يشتكي بطنه، وفي رواية
استطلق بطنه فقال: اسقه عسلا. فذهب ثم رجع. فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئا. مرتين أو ثلاثا. كل ذلك يقول له: اسقه عسلا. فقال في الثالثة أو الرابعة: صدق الله وكذب بطن أخيك) فاستمسك بطنه.
والغريب حقا أن الأطباء في الأزمنة الغابرة كانوا يرون أن العسل يسبب تليين البطن ولذا لا يصلح لمعالجة الاسهال... وقد استنكر ابن خلدون في المقدمة مداواة المبطون بالعسل، واعتبر حدوث الشفاء من التأثير النفسي لايمان الصحابي وليس ذلك راجعا لخصائص العسل. وقد أثبت الطب الحديث فائدة العسل لمعالجة الاسهال ونشرت المجلة الطبية البريطانية BMJ عام ١٩٨٥ دراسة عن استخدام العسل في معالجة التهاب المعدة والأمعاء (النزلات المعوية) عند الأطفال Gasteroenteritis فتبين من الدراسة فائدة العسل في علاج الناتج عن غزو بكتيري وكانت النتائج جيدة في هذا الصدد Honey in the treatment of Infantile: Moosa A, Haffegee l
٧ _ ١٨٦٦: ٢٩٠, BMG gastero enteritis ١٩٨٥.
ونشر الدكتور سالم نجم وزملاؤه دراسة عن استعمال العسل في علاج الاسهال في أعمال مؤتمر الطب الاسلامي عام ١٩٨٢. وكانت النتائج جيدة جدا حيث اختفى الاسهال أو خفت حدته عند ٨٣ بالمئة من المرضى. (المؤتمر الثاني للطب الاسلامي مجلد ٢ / ٥٧٥، الكويت، ١٩٨٢)، بحث علاج الاسهال المزمن بالعسل.
وهذه النتائج تؤكد فائدة العسل في علاج المبطون (المصاب بالاسهال). كما في الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وقد أخرج البخاري في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن كان في شئ من أدويتكم، أو يكون شئ من

أدويتكم خير. ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لدغة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشفاء في ثلاثة:

في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار، وأنهي أمتي عن الكي).... وليس المقصود تحديد الشفاء في ثلاثة أمور فقط بل هو التنبيه على أهميتها كما قال صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة) ولا شك أن أعمال

الحج كثيرة وليست مقتصرة على شهود يوم عرفة وإنما قال ذلك لتوضيح مدى أهميته. وكذلك الحديث ها هنا.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل العسل في الماء ويشربه بكرة (على الريق) ويسمى ذلك الطنوب. وليس

المقصود استعراض فوائد العسل ها هنا فالمجال واسع وهناك كتب كثيرة في هذا الصدد نذكر منها (العسل فيه شفاء للناس) للدكتور محمد نزار الدقر، و (عسل النحل شفاء نزل به الوحي) للدكتور عبد الكريم الخطيب)، و (التداوي بعسل النحل) لعبد اللطيف عاشور و (نحل العسل) للدكتور محمد علي البنبي، و (العلاج بعسل النحل) للدكتور يويريش (ترجمة د. محمد الحلوجي) و (طبيبتنا النحلة) لبول أوكوسيتش (ترجمة دار الاسلام والغرب) وأحدثها وأوسعها في المراجع الحديثة كتاب الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين للدكتور حسان شمس باشا.

ومعالجة العسل للزكام والوقاية منه ومعالجة أمراض الجهاز التنفسي معروفة ومشهورة. وقد كتب الدكتور حسان شمس باشا فصلا جيدا عن فائدة العسل في الربو والتهاب الأنف التحسسي) ذكر فيه المراجع العلمية الحديثة التي تؤكد فوائد العسل في علاج حمى القش Hay fever والتهاب الانف التحسسي والربو. واقترح الدكتور جارفس إعطاء ملعقة صغيرة من العسل ثلاث مرات يوميا للمصابين بحمى القش والتهاب الانف التحسسي على أن يبدأ ذلك حوالي أربعة أشهر قبل موسم الإصابة بهذا المرض.

ويستخدم العسل لالتهابات الانف والبلعوم والحنجرة بصورة أقراص مص Lozenges أو بوساطة الاستنشاق الأنفي والغرغرة بمحلول العسل وبعض الأزهار. كما يستخدم العسل منذ أقدم الأزمنة في أدوية السعال..

وهكذا يؤكد الطب الحديث نصيحة الإمام علي الرضا بأكل ثلاث لقم من الشهد كل يوم مدة الشتاء للوقاية من الزكام ونزلات البرد والتهاب الانف التحسسي. الخ.

معرفة أنواع العسل: واعلم يا أمير المؤمنين أن للعسل دلائل يعرف بها نافعه من ضاره وذلك أن

منه شيئا إذا أدركه الشم يعطس ومنه شئ يسكر وله عند الذوق حرافة شديدة فهذه الأنواع من العسل قاتلة (١).

شم النرجس والحبة السوداء وقاية من الزكام:

ولا تؤخر شم النرجس فإنه يمنع الزكام مدة أيام الشتاء وكذلك حبة السوداء (٢).

___

(١) لم أقف على شئ من أضرار العسل، ولا يكون العسل مسكرا إلا إذا تخمر وهو ما يعرف بالبتع Meed. ولعل هناك نوعا إذا شمه الانسان يعطس لوجود بعض الفطريات فيه؟ قال ابن سينا في القانون (ومن العسل جنس حريف سمي.... وشم الحريف السمي منه يذهب العقل فكيف أكله.. والحريف من العسل الذي يعطس شمه وأكله يورث ذهاب العقل.

(٢) الحبة السوداء (حبة البركة، الشونيز)، Nigella Sativa لها فوائد عديدة. وقد اهتم بها الأطباء القدماء وأطنبوا في خصائصها وفوائدها. وكاد الطب الحديث أن يهملها إهمالا تاما. ثم ظهرت بعض الأبحاث الطبية التي تتحدث عن فوائد الحبة السوداء في علاج الربو وأمراض الجهاز التنفسي (الدخاخني ومحفوظ مجلد أبحاث مؤتمر الطب الاسلامي ٤١١: ٤٢. Egypt Pharm Bull ١٩٦٠

والدكتور أحمد القاضي وزملاؤه (مؤتمر الطب الاسلامي الرابع والخامس)... ووضع الدكتور حسان شمس باشا كتابا بعنوان الاستشفاء بالحبة السوداء بين الاعجاز النبوي والطب الحديث (مكتبة السوادي جدة) جمع فيه الأبحاث المنشورة في المجلات والكتب الطبية مع ما هو مذكور في كتب الطب النبوي والكتب الطبية القديمة. وهو بذلك أشمل مرجع في هذا الموضوع حتى تاريخ نشره ١٩٩٠). وقد وضع فيه فصلا بعنوان الحبة السوداء والزكام. وقد نقل فيه ما جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، قال: (أخرج المستغفري في كتاب الطب (النبوي) عن عبيد الله بن بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن هذه الحبة السوداء فيها شفاء....) الحديث قال: وفي لفظ قيل: وما الحبة السوداء؟ قال: الشونيز (وهو لفظ فارسي اشتهر آنذاك وتسمى في مصر حبة البركة) قال: وكيف أصنع بها؟ قال: تأخذ إحدى وعشرين حبة فتصرها في خرقة ثم تضعها في ماء ليلة، فإذا أصبحت قطرت في المنخر الأيمن واحدة وفي الأيسر اثنتين، فإذا كان من الغد قطرت في المنخر الأيمن اثنتين وفي الأيسر واحدة، فإذا كان اليوم الثالث قطرت في الأيمن واحدة وفي الأيسر اثنتين).

ويقول الدكتور الفاضل العبيد عمر في كتابه الحبة السوداء في الطب الشعبي (مكتبة دار المطبوعات الحديثة جدة، ١٩٩٠): (لعلاج نزلات البرد يضاف زيت الحبة السوداء (ملعقة كبيرة) إلى ماء غال، وعلى المريض أن يستنشق البخار الصاعد منه، ورأسه مغطى ببطانية أو نحو ذلك، ويستحسن تكرار ذلك صباحا ومساء إلى أن يتم الشفاء بإذن الله).

وقال ابن القيم (ويشفي الشونيز من الزكام إذا دق وصر في خرقة، واشتم دائما) وقال ابن سينا عنها: (وينفع من الزكام خصوصا مقليا مجعولا في صرة من كتان وتستخدم الحبة السوداء في معالجة الربو والتهابات الجهاز التنفسي. وقد لاحظ ابن سينا منذ ألف عام تقريبا في كتابه القانون (أن الحبة السوداء مقشعة وتنفع من انتصاب النفس) (أي الربو).

ويقول الدكتور ناظم نسيمي في كتابه (الطب النبوي والعلم الحديث): لقد لوحظ أن بعض المرضى من سكان البحر الأبيض المتوسط، حيث يكثر نبات الحبة السوداء، يتعاطون الزيت المستخرج من بذور الحبة السوداء للعلاج من الأزمات الصدرية والسعال، وخاصة لدى العامة في مصر إلا أن طعم الزيت لا يستسيغه الكثير، فضلا عما له من تأثير مهيج في الأغشية المخاطية

للجهاز الهضمي. وقد تمكن أخيرا فريق من الباحثين في جمهورية مصر العربية، وعلى رأسهم الدكتور محمد المحفوظ والدكتور محمد الدخاخني من فصل المركب الفعال لهذا الزيت في حالة نقية وخالية من التأثيرات المهيجة للأغشية، كما أثبت هؤلاء الباحثون خلو (هذا) المركب من أي تأثير سام أو ضار وسموه نيجللون (Nigellone). ولقد تم تحضير هذا المركب في شركة مصر للمستحضرات الطبية بشكل نقط ثم بشكل أقراص (١٠ – ١٥ نقطة أو قرصا ثلاث مرات يوميا).

وقد أثبتت الأبحاث المتعددة فائدة مادة النيجللون في علاج الربو والنزلات الشعبية (مؤتمر الطب الاسلامي، المجلد الثاني: ٥٩٥ – ٦٠٠ بحث الدكتور الدخاخني. والمجلد الرابع ص ٣٤٤ – ٣٤٨ بحث الدكتور أحمد القاضي). ويذكر الأستاذ الدكتور محمود درويش في بحث مقدم لمؤتمر الطب الاسلامي المجلد الرابع ص ٣٥٩ أنه قد ثبت أن لمركب النيجللون تأثيرا مرخيا في العضلات وبالتالي يفيد في حالات الربو والمغص الكلوي.

وسيضيق بنا المجال لو تتبعنا فوائد الحبة السوداء في جهاز المناعة وبقية أجهزة الجسم الأخرى.

أكل الخيار في الصيف والتحذير من الجلوس في الشمس:
وإذا خاف الانسان الزكام في أيام الصيف فليأكل كل يوم خياره وليحذر الجلوس في الشمس (١).

---

(١) وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تنهي عن الجلوس في الشمس. وقد جاء في كتاب الامام السيوطي
(المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي) تحقيق الدكتور حسن مقبولي الأهدل الأحاديث التالية:
(أ) أخرج الحاكم (في المستدرك ج ٤ / ٤١١ وسكت عليه) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والجلوس في الشمس فإنها تبلي الثوب، وتنتن الريح، وتظهر الداء الدفين)
وقال الذهبي وضعه ميمون بن زياد اليشكري الطحان، كذاب يضع الحديث (ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، دار المعرفة، بيروت ج ٣: ٥٥٢).
(ب) أخرج أبو داود (في السنن كتاب الأدب حديث رقم ٤٨٢٢) عن قيس عن أبيه أنه جاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب فقام في الشمس، فأمر به فحول إلى الظل، قال المحقق سكت عليه أبو داود والمنذري في مختصر السنن وقال: قيس هو ابن أبي حازم والده صحابي. وأخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه وقال: هذا صحيح الاسناد. وأقره الذهبي.
(ج) وأخرج أبو داود (في السنن كتاب الأدب حديث رقم ٤٨٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان أحدكم في الشمس وقلص عنه الظل وصار بعضه في الشمس وبعضه
في الظل فليقم). قال المحقق وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، والمنذري في الترغيب من طريق أخرى بنحوه. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج ٢ / ٣٨٣) وقال محقق السند الأستاذ أحمد شاكر هو صحيح.
(د) وأخرج ابن السني وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا
نائما في الشمس فقال: (قم فإنها تغير اللون وتبلي الثوب).
قال المحقق: الحديث فيه إرسال وفي إسناده هلال بن يحيى الرازي لا يحتج به إذا انفرد (المجروحين لابن حبان ج ٣ / ٨٧، ٨٨).
(ه) وأخرج ابن السني وأبو نعيم (في الطب النبوي)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تطيلوا الجلوس في الشمس فإنها تغير اللون وتقيض الجلد وتبلي الثوب وتبحث الداء الدفين). قال المحقق: عثمان بن الضحاك المدني ضعفه أبو داود (أنظر كتاب الميزان للذهبي ج ٣ / ٤٠).
وقد ذكر ابن القيم في الطب النبوي ما يلي: والنوم في الشمس: يثير الدفين. ونوم الانسان، بعضه في الشمس وبعضه في الظل ردئ، وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس وبعضه
في الظل فليقم). وفي سنن ابن ماجة وغيره من حديث بريدة بن الحصيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
أن يقعد الرجل بين الظل والشمس.

وقد أوضح الطب الحديث أن طول المكث في الشمس وخاصة لمن كان عاري الجسد كما يفعلون في البلاجات في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان بما في ذلك كثير من البلاد الاسلامية (عربا وعجما) يؤدي إلى السرطان. وقد كان اللفظ عجيبا دقيقا: يثير الداء الدفين. والداء الدفين هو السرطان. لأن التحول إلى خلايا سرطانية أمر كامن في جسم الانسان وفي الجلد بصورة خاصة فإذا تعرض الانسان للمكوث في الشمس وأشعتها فوق البنفسجية أدى ذلك إلى حدوث السرطان. كما أن كثيرا من أمراض الجلد لا تحدث إلا بسبب التعرض للشمس ومنها القرحة القارضة Rodent Ulcer وهي تحدث عادة في الوجه لكثرة تعرضه للشمس. وهي قرحة سرطانية موضعية. وكذلك مرض الذئبة الحمراء القرصية المزمنة Discoid Lupus Erythematosus تحدث في الأماكن المعرضة للشمس... وكذلك مرض الحزاز المسطح الاستوائي Lichen Planus يحدث في الأماكن المعرضة للشمس...

وقد كثرت المقالات الطبية حول مخاطر التعرض للشمس ومن أجمعها تقرير الكليات الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة وقد نشر عام ١٩٨٧، ثم بسط الكتاب للعامة بكتاب آخر وهما:

(١) ・ Links between Exposure to ultraviolet Radiation and Skin Cancer

(٢) ・ The Sun on your Skin

وكلاهما من إصدار. Royal College of Physians ,١٩٨٧ London

فوائد أكل السمك الطري:
ومن خشي من الشقيقة والشوظة فلا يؤخر أكل السمك الطري صيفا كان أو شتاءا (١).
ومن أراد أن يكون صالحا خفيف اللحم فليقلل من عشائه بالليل.
ومن أراد أن لا يشتكي سرته فليدهنها من دهن رأسه.

----

(١) ازداد الاهتمام بالسمك وفوائده الصحية في الآونة الأخيرة ازديادا كبيرا. وقد ذكره الله سبحانه وتعالى قال: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)
(سورة النحل ١٤). وقال صلى الله عليه وسلم: (أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال) أخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي. وقال صلى الله عليه وسلم عن البحر (هو الطهور
ماؤه الحل ميتته) وقال: (أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت).
وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن الذين يأكلون السمك (الحوت) صيفا وشتاء (أي باستمرار) مثل اليابانيين هم أقل الناس عرضة للإصابة بجلطات القلب وتصلب الشرايين وحدوث مختلف أنواع السرطان.
وذكرت مجلة اللانست البريطانية الشهيرة المقالة الافتتاحية في عددها بتاريخ ١٤ مايو ١٩٨٨ بعنوان زيت السمك جاء فيها: (لقد أصبحت الأمراض المزمنة في الوقت الحاضر سببا أساسيا للوفيات والأمراض في المجتمعات المتحضرة. ويبدو أن الوقاية من هذه الأمراض والتخفيف من حدتها ربما تكون أيسر بكثير من معالجتها. ولهذا اتجه كثير من الباحثين نحو الوسائل الغذائية كوسيلة من الوسائل التي يمكن بها تغيير مجرى المرض أو تخفيفه أو الوقاية منه.... وأثبتت الدراسات في مناطق مختلفة، ومنها دراسة في هولندة حيث أعطي مرضى الشرايين التاجية (المغذية للقلب) ٣٠ جراما من السمك يوميا لمدة عشرين شهرا، أن نسبة الوفاة لدى هؤلاء المرضى قد انخفضت بنسبة ٥٠ بالمئة بالمقارنة مع أولئك الذين لم يتناولوا السمك).
ويمنع زيت السمك حدوث جلطات القلب بعدة طرق منها خفض الكوليسترول الضار الخفيف الوزن في الدم وزيادة سيولة الدم (انظر لمزيد من التفصيل كتاب قبسات من الطب النبوي للدكتور حسان شمس باشا، إصدار مكتبة السوادي جدة ١٤١١ ﻫ / ١٩٩٠ م).

ومن أراد أن لا تشقق شفتاه ولا يخرج فيها بأسور فليدهن حاجبيه متى دهن رأسه.
ومن أراد أن لا تسقط أذناه ولهاته فلا يأكل حلوا حتى يتغرغر بعده بخل.
ومن أراد أن لا يصيبه اليرقان فلا يدخل في الصيف أول ما يفتح بابه، ولا يخرج منه أول بابه في الشتاء غدوة.
أكل الثوم
ومن أراد أن لا يصيبه ريح في بدنه فليأكل الثوم كل سبعة أيام مرة (١).

----

(١) كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الثوم والبصل لرائحتهما. وقد نهى عليه الصلاة والسلام آكلهما أن يقرب
المسجد. أخرج مسلم في صحيحه (كتاب المساجد) وأخرجه ابن ماجة في السنن (أكل الثوم) عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (أيها الناس إنكم تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا
خبيثتين (بسبب الرائحة)، هذا البصل والثوم، ولقد كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد ريحهما من
الرجل أمر فأخرج إلى البقيع. فمن كان منكم آكلها لا بد، فليمتها طبخا).
وأخرج البيهقي في شعب الايمان وأبو داود في سننه (باب الأطعمة) عن معاوية بن قرة عن أبيه
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا هذا.
فإن كنتم لا بد آكليهما فأميتوهما طبخا. وأخرج الترمذي (في سننه) عن أبي العالية (هو من
التابعين) قال: الثوم من طيبات الرزق. وأخرج ابن السني وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن
المغيرة بن شعبة قال: قلت يا رسول الله نهيتنا عن طعام كان لنا نافعا. قال ما هو؟ قلت: الثوم
كان ينفع صدورنا وظهورنا. قال: فمن أكله منكم فلا يقربن مسجدنا.
وأخرج أبو داود (في سننه الحديث رقم ٣٨٢٦) وابن السني وأبو نعيم (في الطب النبوي) عن المغيرة
ابن شعبة قال: أكلت ثوما فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ريح الثوم. فقال: من أكل هذه الشجرة فلا يقربنا حتى
يذهب ريحه. فقلت يا رسول الله أعطني يدك، فأدخلت يده في كم قميصي إلى صدري، فإذا أنا
معصوب الصدر (أي كان به وجع من صدره فعصبه برباط) قال: إن لك عذرا (أي في أكل الثوم
لأنه دواء).
وأخرج ابن ماجة وابن السني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنه - رفعه، (أي
إلى النبي صلى الله عليه وسلم): (إذا دخلتم بلادا فكلوا من بصلها يطرد عنكم وباها) ذكره السيوطي في المنهج السوي
والمنهل الروي في الطب النبوي وقال محققه الدكتور حسن مقبولي الأهدل لم أجده في سنن ابن
ماجة، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.
وذكر الدكتور حسان شمس باشا في كتابه (قبسات من الطب النبوي) بعض الأحاديث في منافع
الثوم: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل الثوم، فلولا أني أناجي الملك
لأكلته) صحيح الجامع (رقم ٤٣٦٩) لناصر الدين الألباني.
وعن أبي سعيد (الخدري) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: (كلوه (أي الثوم) ومن أكله
منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهب ريحه منه)، رواه أبو داود (صحيح الجامع [رقم ٤٣٨٣]

للألباني) وعن محمد بن سيرين قال: (كان الثوم يجلب لابن عمر، فينظم في خيط، ويلقى في المرقة في خيط، ويستخرج في خيط فيلقى، فيؤكل). رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات.
والثوم والبصل من أقدم النباتات المزروعة التي عرفها الانسان واستخدمها في طعامه ودوائه. فقد ورد في أوراق البردي المصرية القديمة المكتوبة قبل ٣٥٠٠ سنة أكثر من ٢٢ وصفة ثوم للعديد من الأمراض والأوجاع. وقد وصف الطبيب والمؤرخ اليوناني الشهير بليني الثوم وذكره علاجا لستين مرض ووجع منها أمراض الجهاز الهضمي والتنفسي والربو والروماتيزم والبواسير والأورام ولدغات العقارب والحيات وعض الكلب الكلب. وقد نصح أبو قراط باستخدام الثوم لادرار البول ولعلاج الامساك والأورام. واستعمل الثوم في الصين واليابان لعلاج ارتفاع ضغط الدم (التوتر الشرياني). وأثبت العالم الفرنسي باستور أن للثوم فعلا مضادا للجراثيم. واستعمل الأطباء البريطانيون الثوم خلال الحرب العالمية الثانية في معالجة جروح الحرب بنجاح.
وقد زاد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالثوم وظهرت مئات المقالات العلمية في المجلات الطبية والعلمية عن الثوم وتركيبه وفوائده. وأفادت التجارب أن الثوم يساعد على منع تكون الجلطات في القلب والدماغ والأطراف ويعتبر مركب آليين (aliin) الموجود في الثوم والذي يتحول إلى مركب (Allicin) اليسين هو الذي يعطي الثوم رائحته النفاذة ويقوم بفعل مضاد للجراثيم. وقد وجد الباحثان سليم أحمد وإيريك بلوك أن تسخين الأليسين في وجود الخلون يتحول إلى مادة (الاهوين) وهي المادة المسؤولة عن منع التخثر (التجلط) في الدم. وللثوم أثر فعال في تخفيض الكوليسترول والدهون ذات الوزن الخفيف التي تسبب تصلب الشرايين بينما يرفع الدهون ذات الوزن الثقيل التي تقي من جلطات القلب.
والثوم يخفض ضغط الدم (التوتر الشرياني) كما أن التجارب على الفئران تشير إلى أن للثوم فعلا مضادا للسرطان وخاصة سرطان القولون والمثانة. كما أن الثوم يزيد من خلايا الدم اللمفاوية من نوع T التي تزيد في مناعة الجسم ومقاومته للأمراض.
(لمزيد من التفصيل يراجع فصل الثوم من كتاب الدكتور حسان شمس باشا: قبسات من الطب النبوي على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة إصدار مكتبة السوادي جدة ١٤١١ ه / ١٩٩٠ م).
وقد أشار الإمام علي الرضا إلى فائدة الثوم في معالجة (الريح) والوقاية منه. وتعبير (الريح) يطلق على الآلام العضلية والروماتيزمية إلى اليوم ويستخدمه العامة في الجزيرة العربية واليمن. كما قد يقصد به أحيانا آلام البطن.. ويعبرون عن الغازات في البطن وزيادتها بالأرياح أو الريح...
والثوم مفيد للجهاز الهضمي وللآلام الروماتيزمية والعضلية كما قد مر معنا. كما أنه يمنع حدوث الفالج (وهو الشلل النصفي الناتج عن جلطة في أحد شرايين الدماغ).

ومن أراد أن يستمرئ طعامه فليتك بعد الاكل على شقه الأيمن ثم ينقلب بعد ذلك على شقه الأيسر حين ينام.
ومن أراد أن يذيب البلغم من بدنه وينقصه فليأكل كل يوم بكرة بشئ من الجوارش الحريف ويكثر دخول الحمام ومضاجعة النساء والجلوس في الشمس.
ومن أراد أن يطفئ لهب الصفراء فليأكل كل يوم شيئا رطبا وباردا ولينا ويروح بدنه، ويقلل الحركة ويكثر النظر إلى من يحب. ومن أراد أن يحرق السوداء فعليه بكثرة القئ وفصد العروق ومداومة
النورة.
ومن أراد أن يذهب بالريح البارد فعليه بالحقنة والادهان اللينة على الجسد وعليه بالتكميد بالماء الحار.
ومن أراد أن يذهب عنه البلغم فليتناول لكل يوم بكرة من الاطريفل الصغير مثقالا واحدا.
تدبير أمر الجماع:
وقال عليه السلام في أمر الجماع (١):
فلا تقرب النساء من أول الليل صيفا ولا شتاءا وذلك لأن المعدة والعروق

---

(١) يبدو الاهتمام واضحا بموضوع الزواج والجماع، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة في الزواج والجماع منها قوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنا شئتم وقدموا لأنفسكم. واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين) (البقرة ٢٢٢، ٢٢٣) وقوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (البقرة ١٨٧)
وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في آدابه وما يحل منه وما يحرم.
وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتقاء (الحيضة والدبر) وما عدا ذلك مما يكون بين الزوجين فهو أمر مباح ما
دام في صمام واحد من القبل، سواء أتاها مقبلا أم مدبرا، في مكان الحرث. وقد ندب إلى الملاعبة والمداعبة. وقال المولى تعالى في ذلك (وقدموا لأنفسكم) قال بعض المفسرين هي المداعبة والقبلة تكون قبل الجماع. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري لما تزوج ثيبا: (هلا
بكرا تلاعبها وتلاعبك) أخرجه البخاري (في كتاب النكاح وكتاب البيوع والشفعة) ومسلم (في المساقاة) وأبو داود في سننه (النكاح) والترمذي في جامعه (باب تزويج الأبكار) وقال حسن صحيح، والنسائي في السنن الصغرى وابن ماجة في سننه (كتاب النكاح، باب تزويج الأبكار) كلهم عن جابر رضي الله عنه.
وورد في أحاديث أخرى كثيرة أوردها الامام السيوطي في كتابه: (المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي) في باب تزويج الأبكار أغلبها فيها ضعف منها ما أخرجه ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بالابكار، فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير).

ومن آداب النكاح أن يتوضأ إذا أراد العود. فقد أخرج الحاكم في المستدرك وابن خزيمة في صحيحه وابن السني في الطب النبوي وابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الطب النبوي والبيهقي في السنن الكبرى ومسلم في صحيحه وأبو داود في السنن والترمذي في جامعه وابن ماجة في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود، فليتوضأ بينهما وضوء، فإنه أنشط للعود).

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، فإن سبقها فلا يعجلها).

وأخرج ابن السني وأبو نعيم عن الهذيل بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جز الشعر يزيد في الجماع (والمقصود شعر العانة).

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجامعن أحد منكم وبه حقن من خلاء فإنه يكون منه البواسير، ولا يجامعن أحدكم وبه حقن من بول فإن منه يكون البواسير (ذكره السيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي).

وأخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه، يرفعه قال: (إذا جامع أحدكم فلا يغتسل حتى يبول، فإن لم يفعل يرد بقية المني فيورثه الداء الذي لا دواء له). (ذكره السيوطي في الطب النبوي).

وقد أورد الإمام علي الرضا بعض آداب الجماع وذكر منها أن لا يأتي أهله والمعدة ممتلئة وأن ذلك يسبب القولنج (التهاب القولون). وقد ورد كما تقدم حديث بعدم الجماع والانسان حاقن للبول أو البراز فإنه يسبب البواسير والنواسير.

ولا شك أن الجماع مع امتلاء البطن بالطعام مزعج للشخص وقد يسبب سرعة الانزال، وكذلك الجماع مع امتلاء المثانة بالبول قد يسبب ارتجاع البول إلى الحالب، وبالتالي التهاب المجاري البولية والتهاب الكلى. والجماع مع امتلاء الأمعاء والمستقيم بالبراز يضغط على البروستات وربما زاد من احتقان الأوعية الدموية في جدار الشرج فتتدلى مسببة البواسير، بالإضافة إلى المضايقة النفسية والبدنية وسرعة الانزال.

أما الأمراض الأخرى التي ذكرها الإمام علي الرضا مثل الفالج واللقوة والنقرس فلا أعلم أن الطب الحديث يذكر شيئا من ذلك..

ونصيحة الإمام علي الرضا بالملاعبة قبل المواقعة أمر قد ورد في الكتاب الكريم بقوله تعالى (وقدموا لأنفسكم) كما مر معنا، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك).. وقول الإمام الرضا (ولا تجامع النساء إلا طاهرة) أمر مفروغ منه بالنسبة إلى المسلم فقد ورد فيه قوله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض.. الآية) وقد تقدم القول فيها وقد جعلنا فصلا في كتابنا (دورة الأرحام) عن المحيض وغشيان المرأة فيه وأضراره الصحية ثم كتبناه مع اختلاف طفيف في كتابنا (هل هناك طب نبوي؟).

ثم قال: (فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائما ولا تجلس جالسا ولكن تميل على جنبك) وهذا الامر كان يفعله الأنصار بينما كانت قريش تشرح النساء، فلما تزوج قرشي أنصارية اشتكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فيه قرآن من السماء: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنا شئتم) ما دام في مكان الحرث، في القبل. ونبه الإمام علي الرضا إلى وجوب سرعة التبول بعد الانتهاء من الجماع فإن ذلك يمنع تكون الحصاة. والطب الحديث لم يهتم بهذا الموضوع إلى الآن. وإن كانت هناك أبحاث تؤكد على أهمية التبول بعد الجماع بالنسبة إلى المرأة وأن ذلك يقي من الالتهابات البولية. يقول الكاتب المرجع

في أمراض الكلى لعام ١٩٨٧ - Chur, Textbook of Kidney Diseases: Lawrence J, Whiteworth J
London, Livingstone _ Chil ,٢٠٥ P .
، (إن النساء يستفدن فائدة عظمى إذا أفرغن مثانتهن
وخاصة بعد كل جماع لأن ذلك يقلل من حدوث التهابات المجاري البولية).

تكون ممتلية وهو غير محمود ويتولد منه القولنج والفالج واللقوة والنقرس والحصاة والتقطير والفتق وضعف البصر ورقته، فإذا أردت ذلك فليكن في آخر الليل فإنه أصلح للبدن وأرجى للولد وأزكى للعقل في الولد الذي يقضي الله تعالى.
ولا تجامع امرأة حتى تداعبها وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينها واشتهت منك مثل ذلك الذي تشتهي منها. ولا تجامع النساء إلا طاهرة فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائما ولا تجلس جالسا ولكن تميل على يمينك، ثم انهض للبول من ساعتك فإنك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى.
ثم اغتسل واشرب من ساعتك من الموميائي بشراب العسل أو بعسل منزوع الرغوة فإنه يرد من الماء مثل الذي خرج منك.
واعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل أو في الدلو من البروج أفضل. وخير من ذلك أن يكون في برج الثور وكونه شرف القمر.
ومن عمل بما وصفت في كتابي ودبر به جسده أمن بإذن الله وقوته فإن الله

يعطي العافية من يشاء ويمنحها إياه والحمد لله رب العالمين.
تدبير أمر السفر:
وقال عليه السلام: واعلم يا أمير المؤمنين أن المسافر ينبغي أن يتحرز في الحر إذا سافر وهو ممتلي من الطعام، ولا عالي الجوف وليكن على حد الاعتدال وليتناول من الأغذية الباردة (١).
واعلم: أن السير الشديد في الحر الشديد ضار للأبدان المهلوسة (٢) إذا كانت خالية من الطعام وهو نافع في الأبدان الخصبة (٣).

____

(١) في كتاب رمز الصحة للسيد محمود الموسوي الأصفهاني زيادة وهي: (مثل الغريض (اللحم الطري) والهلام (طعام من لحم عجلة بجلدها أو مادة غروية أو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن) والخل والزيت وماء الحصرم، ونحو ذلك من الأطعمة الباردة).
(٢) في كتاب رمز الصحة (المنهوكة) وهو أقرب إلى الصواب.
(٣) إضافة في كتاب (رمز الصحة) (وأما صلاح المياه للمسافر ودفع الأذى عنه فهو أن لا يشرب من ماء كل منزل يرده إلا بعد أن يمزجه بماء المنزل الذي قبله أو بشراب واحد (أي يأخذ ماء جيدا من أول المنازل) غير مختلف يشويه بالمياه على اختلافها (ربما قصد يضعه على النار ويغليه. فإذا كان كذلك فإنه يمكن التخلص من الميكروبات بالغليان الذي يقتلها).
(والواجب أن يتزود المسافر من تربة بلده وطينته التي ربي عليها، وكلما ورد إلى منزل طرح في إنائه الذي يشرب منه الماء شيئا من الطين الذي تزوده من بلده ويشوب الماء بالطين في الآنية بالتحريك، ويؤخر شربه حتى يصفو صفاء جيدا (هذا الاجراء غريب ولم أدر ما سببه، والدافع إليه، إن صح ذلك عن الإمام الرضا، وهو غير موجود في كتاب السيد مهدي الخرسان: طب الإمام الرضا).
(وخير الماء لمن هو مقيم أو مسافر ما كان ينبوعه من الجهة الشرقية، من الخفيف الأبيض. وأفضل المياه ما كان مخرجها من مشرق الشمس الصيفي، وأصحها وأفضلها ما كان بهذا الوصف الذي نبع منه (لم أجد أي تعليل لتفضيل الينابيع الشرقية)، وكان مجراه في جبال الطين، وذلك لأنها تكون في الشتاء باردة، وفي الصيف ملينة للبطن، نافعة لأصحاب الحرارات، وأما الماء المالح والمياه الثقيلة فإنها تيبس البطن. ومياه الثلوج والجليد ردية لسائر الأجساد وكثيرة الضرر جدا (لا يوجد دليل على ذلك). وأما مياه السحب، فإنها خفيفة عذبة صافية نافعة للأجسام إذا لم يطل خزنها وحبسها في الأرض. وأما مياه الجب (البئر العميقة) فإنها عذبة صافية إن دام جريها ولم يدم حبسها في الأرض. وأما البطائح (جمع بطحة وهي مجرى السيل الواسع) والسباخ فإنها حارة غليظة في الصيف لركودها، ودوام طلوع الشمس عليها، وقد يتولد من دوام شربها المرة الصفراوية وتعظم وبه أطلحتهم (جمع طحال) (وهو أمر محتمل نتيجة وجود البلهارسيا في المياه الراكدة وحوافي الأنهار والسيول والغيول. ويؤدي ذلك إلى الإصابة بالبلهارسيا. والنوع الذي يسكن الجهاز الهضمي (الكبد والأمعاء) يؤدي إلى تضخم الطحال وتليف الكبد وحدوث الاستسقاء).

مراحل العمر:
اعلم يا أمير المؤمنين إن أحوال الانسان التي بناه الله تعالى عليها وجعله متصرفا بها أربعة أحوال (١):
الحالة الأولى: لخمسة عشر سنة وفيها شبابه وحسنه وبهاءه وسلطان الدم في جسمه.
ثم الحالة الثانية: من خمسة عشر سنة إلى خمس وثلاثين سنة وفيها سلطان المرة الصفراء وقوة غلبتها على الشخص وهي أقوى ما يكون ولا يزال كذلك حتى يستوفي المدة المذكورة وهي خمس وثلاثون سنة فيكون في سلطان المرة السوداء وهو
سن الحكمة والمعرفة والدراية وانتظام الأمور وصحة النظر في العواقب وصدق الرأي وثبات الجأش في التصرفات ثم (٢) تدخل في الحالة الرابعة التي لا يتحول

----

(١) هذا الكلام مبني على النظرية اليونانية: ففي سن الطفولة وبداية الشباب تكون الغلبة للدم حيث تتكون الأعضاء الدموية ويكثر النشاط. ويعمل الكبد الذي يعتبر مركز الدم ومصدر تكوينه، بهمة ونشاط. ولذا يكثر الاندفاع وعدم التروي. ثم المرحلة التالية من سن ١٥ إلى ٣٥ وهي سن الرجولة وتظهر فيها الغلبة للمرة الصفراء وفيها حدة الفهم والذكاء والشجاعة والحيطة. وفي سن الكهولة (٣٥ – ٥٥) تظهر الغلبة للمرة السوداء. وفيها الصمت والتفكير والتثبت والنظر في العواقب. وفي سن الشيخوخة (٥٥ إلى أرذل العمر) تكون الغلبة للبلغم وتزداد علامات العجز والفتور بالتدريج، ويبدأ الثقل والنسيان والسكون. ويظهر الحلم واللين.

(٢) وفي بعض النسخ هكذا:
ثم يدخل في الحالة الرابعة وهي سلطان البلغم وهي الحالة التي لا يتحول عنها ما بقي وقد دخل في الهرم حينئذ وغاية الشباب واستنكر كل شئ كان يعرف من نفسه حتى صار ينام عند القوم ويسهر عند النوم ويذكر ما تقدم وينسى ما يحدث به ويكثر من حديث النفس ويذهب ماء الجسم ويقل نبت شعره وأظفاره ولا يزال جسمه في انعكاس وإدبار ما عاش لأنه في سلطان البلغم وهو بارد جامد.
هذه علامات هامة للشيخوخة ذكرها الإمام الرضا. ومن علامات مرض الخرف Dementia الذي قد يحدث في سن مبكرة نسبيا مثل مرض الزهايمر Alzeheimer أن يذكر ما تقدم وينسى ما يحدث (أي يفقد
ذاكرته للأشياء الحديثة بينما يحتفظ بذاكرته للأشياء المتقادمة. وهذا أيضا ما يحدث في عصاب كورساكوف). ثم يضطرب النوم فينام عند القوم ويسهر عند النوم. ويضعف الجسم والقوى العقلية، حتى يفقد قدرته على التمييز.. وقد يحفظ الله أشخاصا مع بلوغهم سن التسعين أو المائة. وخاصة في عقولهم وذاكرتهم. وقد ورد عن بعض الصالحين المعمرين أنه قال: (حفظناها في الصغر فحفظها علينا في الكبر) أي حفظوا جوارحهم من الآثام والذنوب والموبقات في الصغر فحفظها الله عليهم في الكبر.

منها ما بقي إلا إلى الهرم ونكد العيش وذبول... حتى ينام عند القوم ويسهر عند النوم.